مجلة شهرية

نـــــــور المسيح ✚ المســيـــــــح

XPIΣTOY Σ Ω Φ

Issue No: 126 عدد:

February 2018 شهر شباط

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

بالفصح المجيد

دخول السيّد المسيح الى الهيكل

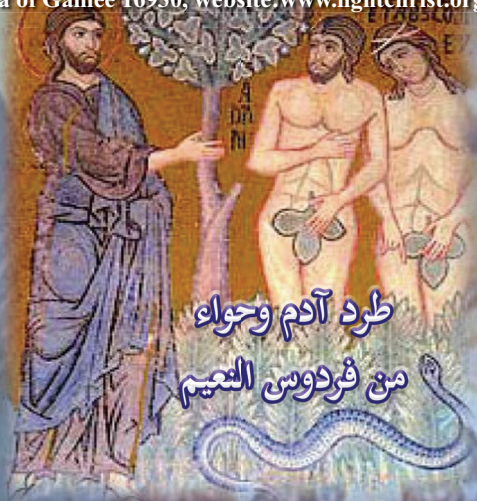

طرد آدم وحواء من فردوس النعيم

عودة الابن الضَّال الى الأحضان الأبويَّة

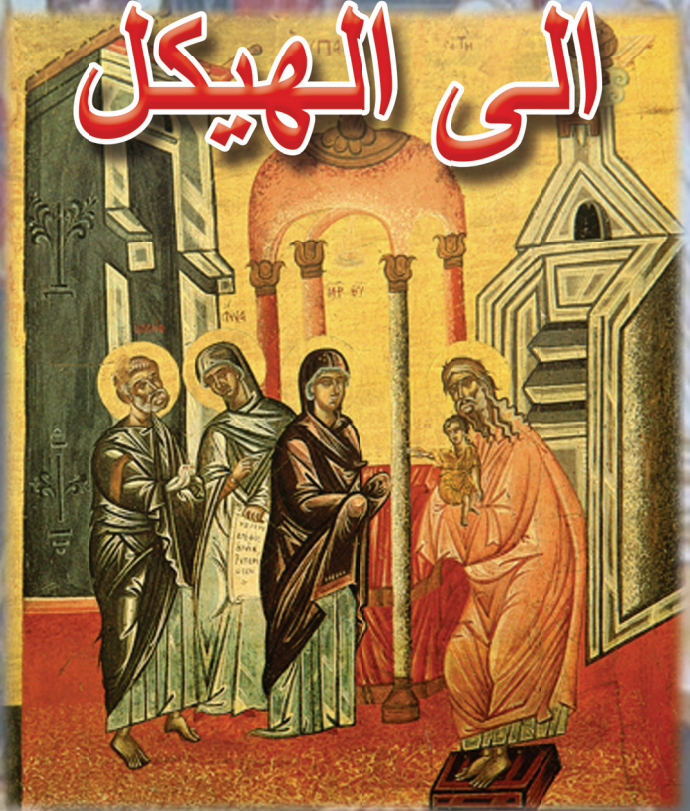

أحد الأرثوذكسيّة ـ رفع الأيقونات المقدّسة

مديح والدة الإلة

محتويات العدد

2	قناع البربارة
3	كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	النسك في الحياة الرهبانية
5	دخول المسيح الى الهيكل ؟
6	-------
7	-------
8	تجسّد صاحب الصورة
9	---------
10	كلبٌ قد عاد إلى قيئه
11	---------
12	اختيار الراعي
13	الجنس قبل الزواج
14	الحرومات العشر
15	عصا القديس سابا
16	موقف المسيحي إزاء الموت
18	---------
19	---------
21	جزنا بالنّار والماء
21	--------
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

الصبيّ يعلّم الشيوخ

للقديس باخوميوس

استدعى **الأب باخوميوس** أبّا **تاردس** في يوم أحد وقال له:«عند خروج الإخوة في المساء من المائدة سلّم خدمتك لآخر وتعال حيث نجتمع للتعليم كل يوم أحد».

فلما جاء تادرس إلى موضع التعليم قال له الأب باخوميوس: « قف هنا في وسط الأخوة وتحدث إلينا بكلمة الرب مثلما كنتُ أفعل أنا». فأطاعه أبّا تادرس على غير رغبة منه، وبدأ يتكلم بما أعطاه الرب في أمور نافعة للإخوة، بينما أنصت الجميع وبينهم الأب باخوميوس كواحد منهم. فغضب بعضهم من القدامى بسبب الكبرياء وعادوا إلى مساكنهم حتى لا يسمعوا لأبّا تادرس الذي كان شابًا بحسب تفكيرهم البشري.

وبعد العظة والصلاة، جلس الأب باخوميوس كعادته وقال لهم: ها قد سمعتم العظة، فلمن تكون؟ هل هي من عند المتكلم أم من عند الرب؟ فبأي فكر غضب هؤلاء من هذا الأمر؟ هل لكونه أصغر منهم؟ هوذا عندنا ولد، وبخصوصه قال الرب: «وَمَنْ قَبِلَ وَلَدًا وَاحِدًا مِثْلَ هذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي.» (مت ١٨ : ٥).

ألم أكن منصتًا كواحد منكم؟ بل وأؤكد لكم أنني لم أكن أتظاهر بالاستماع، بل إنني كمن أُنصتُ بالفعل بكل قلبي كمن هو عطشان إلى الماء. لأن كلمة الرب هي بكل نوع «مستحقة كل قبول» (١ تي ٤ :٩) حسب المكتوب.

يا لشقاء الذين رجعوا إلى مساكنهم إذ إنهم حرموا أنفسهم من رحمة الله! وسيكون من الصعب عليهم أن يحيوا إن لم يتوبوا عن كبريائهم، لأنه «قريبٌ هو الرب من المنكسري القلوب ويخلّص المنسحقي الروح» (مز ٣٤).

ثم دعا الأب باخوميوس أولئك الذين انسحبوا وسألهم:«**لماذا انسحبتم إلى قلاليكم؟**»

فقالوا: لأنك جعلتَ صبيًا معلّمًا لنا ولشيوخ كثيرين وبقية الأخوة؟

فتنهد الأب الكبير وقال لهم:أتعلمون من أين دخل الشر إلى العالم منذ البدء؟

فسألوه: من أين؟

فأجاب:من الكبرياء التي بسببها «سقطت وتحطمت على الأرض نجمة الصبح المضيئة في النهار» (إش١٤)، والتي بسببها أيضًا سكن **نبوخذ نصر ملك بابل** بين الوحوش المفترسة (دا ٥). ألم تسمعوا ما كُتب: «مكرهة الرب كل متشامخ القلب» (أم ١٦:٥)؟ لأن «كل من يرفع نفسه يتضع» (لو ١٤).

والآن قد سلب الشرير كل فضيلتكم، غير عالمين أن الكبرياء هي أُمّ كل الشرور، لأنه ليس تادرس هو الذي تركتموه بل إنكم هربتم من كلمة الله وسقطتم من الروح القدس. حقًا ما أبأسكم وما أحوجكم إلى كل شفقة. كيف لم تفهموا أن الشيطان هو الذي أثار فيكم هذا الفكر وأنكم بذلك قد انفصلتم عن الله؟

آه، يا للعجب! إن الله يضع نفسه ويُطيع حتى الموت من أجلنا، أما نحن الذين بالطبيعة منخفضون فننتفخ في أنفسنا! لقد انقلب الوضع بواسطتنا: فإن الذي هو فوق الجميع والأعظم بما لا يُقاس، جذب العالم إليه بتواضعه، بينما كان في استطاعته أن يحرقه بمجرد ومضة! أما نحن الذين لسنا شيئًا فنرفع أنفسنا غير عالمين أننا بذلك ندفع أنفسنا دفعًا إلى أعماق الأرض.

ألم تروني واقفًا أنصت إلى تعاليمه؟ وأقول لك الحق، لقد انتفعتُ كثيرًا جدًا من الاستماع إليه، لأنني لم أقصد أن أختبره لمَّا ألزمته أن يتكلم، ولكنني كنتُ أتوقع أن أجني منفعة لنفسي. فكم كان يليق بكم أنتم بالأكثر أن تنصتوا لكلامه بلهفة عظيمة واتضاع؟ أنا أباكم في الرب كنت أنصتُ له بكل كياني مثل إنسان لا يعرف يمينه من شماله. لذلك فإنني أقول لكم أمام الله: إن لم تُظهروا توبة عظيمة عن هذه الخطيئة، وإن لم تبكوا وتنوحوا على أنفسكم لكي يُغفر لكم ما حدث منكم فستمضون إلى الهلاك.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القديس سمعان الشيخ القابل الإله

«لِيَنفَتِحَنَّ اليوم باب السماء. فإنَّ الإله كلمة الآب الذي لا بداءَة لهُ قد اتّخَذ بداءةً زمنية. ولم ينفصل عن لاهوته. فتُقدّمهُ امُّهُ العذراءُ بآختيارهِ إلى الهيكل الناموسي طفلًا ابن أربعين يومًا. فَيَقْبَلُهُ الكاهن عَلَى ذِراعَيْهِ. ويهتفُ هُتاف العبد نحو السيّد قائلًا: ”أطلقني يا سيّد لانَّ عينَيَّ قد ابصرتا خلاصك.“ فيا من أتى إلى العالم ليخلّص جنس البشر. ياربُّ المجدُلك». هذا ما يتفوّه بهِ مرنمُ الكنيسة.

إخوتنا المحبوبين بالرب يسوع المسيح

أيها المسيحيون الأتقياء والزوار الكرام،

تُكرم اليوم كنيستنا الأرثوذكسيّة بإجلالٍ ووقار سرَ تأنس كلمة الله الذي لا يدرك وتنازله حتى تَجسده وإخلاءُهُ ذاتهُ أمام شخص القديس سمعان الصدّيق القابل الإله (أي أن المسيح ارتضى أن يذهب لدى سمعان الشيخ وأن يُحْمَل على ذراعيهِ) والذي مازال قبر القديس سمعان موجودًا ههنا في هذه الكنيسة والدير الذي يحمل اسمهُ حيثُ يحتفلُ المؤمنون الأرثوذكسيون بتذكارهِ المقدس، مقدمين الشكر للإله المحب البشر.

وكما يدوّن **القديس لوقا الإنجيليّ البشير** حدثَ إدخال الطفل يسوع إلى هيكل سليمان وحضورِه من قِبل والديهِ واستقبالِه من الصدّيق سمعان الشيخ وحنة النبيّه إذ يقول:«وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ.» (لو ٢:٢٥).

إن ربّنا يسوع المسيح ــ كما يقول مرنم الكنيسة ــ قد برزَ من الأم المنزهة عن الفساد، أي والدة الإله العذراء مريم وشوهد في هيكلِ مجدهِ طفلًا محمولًا في الأحضان من القديس البار سمعان الصدّيق ويقول **القديس يوحنا الدمشقيّ** ”أنّ الإله الكائن قبل الدهور يصيرُ إنسانًا ويُحمل كطفلٍ على الأحضان“ ويقول أيضًا **القديس كيرلس الأوروشليمي** ”بأنّ المسيح هو الذي خلقنا على صورة الله، وهو الآن يصيرُ إنسانًا على الصورة ذاتها“.

فمن خلال خلاص البشر أصبح كلمة الله المتجسد أي المسيح «**خلاص**» الله الآب الذي رَأَتْهُمْ عينا الشيخ سمعان الصدّيق كما يقول مرنم الكنيسة: «لما أبصر الشيخ بعينهِ الخلاص الذي وافى الشعوب من الله هتف إليك قائلًا: أنت هو إلهي».

وبتوضيحٍ أكثر إنّ الشيخ سمعان قد رأى بعينيهِ الجسديتين المُخَلِّصَ الذي أتى لجميع الشعوب وهتف نحوهُ بقوةٍ قائلًا: «أيُّها المسيح أنتَ هو إلهي الذي وُلِدْتَ من الله الآب قبل كل الدهور» كما يقول النبي العظيم الصوت **اشعياء**: «وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ» (لوقا ٣: ٦ ــ اش ٤٠ :٥)

وبكلامٍ آخر أيها الأخوة الأحبة إن «خلاص الله» أي **المسيح** ممنوحٌ لجميع البشر وخاصة لأولئك من لديهم شوقٌ وَنِيَّةٌ صالحة بأن يعرفوا المسيح ويقبلوهُ في أحضانهم الروحية «أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ.وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ». (يو١٢: ٤٦-٤٧)

إنّ خلاص الله (أي المسيح كلمة الله المتجسد) هو الله الحي الذي رآه الشيخ سمعان بعينيه الطبيعيتين كإنسان تام، بينما رآه بعينيه الروحيتين بأنّهُ النورُ الحقيقي غير المخلوق أي ألوهته كما يقول **قزما المتوحد**: «لما انحنى الشيخ ولمس آثار أمّ الله التي لم تذُق خبرة الزواج لمسًا إلهيًا. هتف يقول: إنّكِ تحملينَ نارًا يا نقيّة فأنا أرتعد عند لمس الإله طفلًا. وهو سيّد السّلام والنور الذي لا يَغْرُب».

وقد صارت شريكةً ومساهمةً في هذه الخبرة الروحية ولشهادة القديس سمعان، حنة النبية الملهمة من الله «التي لاَ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ، عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطِلِبَاتٍ لَيْلاً وَنَهَارًا.» (لوقا ٢ : ٣٧) وعندما رأت الطفل «مجّدت الله وشكرته ووَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ.» (لوقا ٢:٣٨).

إنّ هَذَا الفِداءَ الذي صنعه الرب يسوع المسيح بدمه الكريم لشعبه (لوقا١:٦٨) ، قد أوضَحَ ماهيّتة القديس بولس الرسول في رسالته للعبرانيين إذ يقول: «وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ... وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. (عبرانيين ٩: ١٣-١٤).

ويقول **آباء الكنيسة** مُفسرين قول القديس بولس الرسول: «لقَد دَخلَ المَسيحُ إلى الأقدَاسِ» أي "إلى قدس الأقداس في السماوات". ويكملُ القديس بولس الرسول مُفسرًا ما سبق: «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين٩: ١٣-١٤).

لقد عَبَدَ سمعانُ الصدّيق الله الحي وتكلمت حنة النبية أيضًا عن الله الحي، أي المسيح الإله المتجسد «الذي قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ.» (لوقا ٢: ٣٤) ويدعونا أن نلتقي به ليس بحسب الناموس ولكن في الروح القدس.

فلنهتف جميعًا يا إخوتي مع أبينا القديس كيرلس الأوروشليمي قائلين: فلنرقص طربًا مع الملائكة ولنسهر مع الرعاة، ولنسجد مع المجوس، ولنعيّد مع بيت لحم مُعَظِّمِينَ والدة الإله العذراء مريم ومقدمين مع يوسف فَرْخَي ٱليمام النفس والجسد وَلْنَقْبَلِ ٱلمسيح في أحضاننا مع سمعان الشيخ. ولنسبح الرب مع القديسة حنة النبيّة هاتفين: لأنك أنت إلهنا الصالح إلى جميع الدهور بنعمة ورأفات ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والعزة مع الآب والروح القدس إلى دهر الداهرين.

آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

النُسك في حياة الرهبنة للقديس باسيليوس الكبير

عن رهبنة صغار السنّ.

سألوا القديس باسيليوس:

ما مقدار القامة (الروحية) التي ينبغي أن ننذر نفوسنا فيها للربّ؟ وفي أي سنّ يأتي إقرار البتولية؟ - فأجاب القديس باسيليوس:

✞ - إنّ ربنا يسوع المسيح يقول: «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم» (مت١٩:١٤).

✞ - والرسول بولس يمتدح الذي يتعلّم الكُتب المقدسة منذ صباه: (٢تي٣:١٥).

✞ - وأن يربّي الآباء أولادهم (من الجنسين) بأدب ومخافة الله .

✞ - إذن في كل زمان (في أي سنّ) ينبغي أن نقبل الذين يأتون إلينا.

✞ - الأيتام من الوالدين نقبلهم، إن لم يسلمهم لنا أحد، لنصير متَشبّهين بالطوباوي أيوب.

✞ - والذين لهم آباء نقبلهم، إذا ما أتوا بهم إلينا على أيدي شهود كثيرين لنقطع افتراءات الأشرار في هذا المجال. (١)

(١) أتى والدا القديس أنبا شنودة رئيس المتوحدين بابنهما الطفل للدير وتركاه عند خاله الراهب القديس «بيجول» وهو لم يزل في التاسعة من عمره. وجيء بالقديس «تادرس» إلى القديس أنبا باخوميوس - أب الشَركة - وهو لم يَزَل بعد في سن ١٥ سنة.

✞ - وينبغي ألَّا نقبلهم للوقت (فور مجيئهم للدير) في جملة رباط (مجتمع) الأخوة. ولكن نربيهم (نعلّمهم) كأولاد الأخوة.

✞ - ونميّز مساكن الصبيان وأكلهم ونومهم وباقي معيشتهم (لوحدهم) لكي لا تكون لهم دالة عند الرجال (الرهبان) بل يكونون إذا اجتمعوا بهم يستحون منهم.

✞ - ولكي لا يروا واحدًا (من الرهبان) - لا سيّما إن كان عظيمًا (له مكانة روحية) - يتم توبيخه بسبب خطأٍ ما، ولكي لا يرونا نصنع مع الشيوخ (كبار الرهبان) ما ينبغي أن نصنع معهم، فيريدون - هم أيضًا - أن نصنع لهم كذلك، قبل الوقت (النمو الروحي للشباب).

✞ - ولكي لا يكون انزعاج في بيت الناسك، لأن قراءة الأطفال تكون بصوتٍ عالٍ.

✞ - أما بالنسبة للصلوات النهارية (السواعي) فليكن الصبيان مع الكبار (الرهبان) مُجتمعين فيها، ولكي يتعلّموا من الكبار (الصلاة) وتكون معونة للصغار منهم.

✞ - ونخصّص لهم خادمًا مُتقدمًا في السن، ورَجُلًا فاضلًا مُجرَّبًا (مختبرًا) طويل الروح (صبورًا) أكثر من الباقين، لكي - بحنان - يليق بالآباء مع الأبناء، وبكلام مناسب (حكيم) يُصلِح خطأ من يخطىء منهم.

دخول السيّد المسيح الى الهيكل

✝ المسيح يُقدَّم إلى الهيكل:

بعد ٱلتطهير، كان تقديم ٱلطفل يسوع ذي ٱلأربعين يومًا إلى الهيكل ليُدعَى قدوسًا للرب ومُكرَّسًا له[١]. والعذراء التي كانت قد تكرَّست قبلًا في الهيكل منذ طفولتها، تتنازل هنا عن أولوية أمومتها لتُقدِّم طفلها مُقدَّسًا للرب باعتباره المسيَّا الموعود به: «لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (مت١: ٢١)[٢].

وإذا كان الله قد خصَّص فيما بعد سبط لاوي لخدمة الهيكل بدل كل بِكْر في إسرائيل (عد ٣: ٩-١٢؛ ٨: ١٨)، فإنَّ المسيح (الذي هو من سبط يهوذا حسب الجسد) لم يأتِ ليكون خادمًا أو مجرد كاهن، وإنما كرئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق[٣] وليس على رتبة هارون (الذي من سبط لاوي)، والذي «لَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا» (عب ٩: ١٢).

كان المسيح هو البِكْر الفريد الذي به تمَّ الخلاص الأبدي، فتباركت فيه كل أُمم الأرض. وإذا كان خروف الفصح القديم قد أَنْقَذَ أبكار إسرائيل من ضربة الملاك المُهلك، فإنَّ ذبيحة هذا البِكْر، ابن الله الوحيد، قد أنقذت كل مَن يؤمن به من الموت الأبدي ووهبته الحياة الأبدية (يو٣: ١٦).

والعذراء، وهي هنا تحمل ابنها لتقديمه إلى الهيكل مُكرَّسًا للرب، ستراه بعد سنوات مرفوعًا على الصليب لخلاص كل البشر. وعلى مثالها، فإنَّ الكنيسة تحمل جسد الرب ودمه في سرِّ الإفخارستيا كل قداس، استحضارًا مُتجدِّدًا لعشاء الرب ليلة آلامه، وتبشيرًا بموت الرب وقيامته وصعوده إلى السماء إلى أن يجيء لإعلان الخلاص الأخير (في ٣: ٢٠،٢١؛ عب ٩: ٢٨؛ ١بط ١: ٥).

✝ شهادة سمعان الشيخ:

ولكي تكتمل أبعاد المشهد، ويتكلَّل بروح النبوَّة، يأتي إلى الهيكل في وقته تمامًا سمعان الشيخ الذي كان على موعد حدَّده الروح له قبل سنين كثيرة.

كان سمعان (أو شمعون) واحدًا من معلِّمي الكتاب، و«وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ.» (لو٢: ٢٥)، وبحسب التقليد اختير ضمن اثنين وسبعين شيخًا – ستة من كل سبط – اختارهم أليعازر رئيس كهنة أورشليم ليقوموا بترجمة أسفار العهد القديم من العبرية إلى اليونانية (٤).

وكان على سمعان ترجمة سفر إشعياء. ولما جاء إلى الآية السابعة من الأصحاح الرابع عشر: «هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ»»، توقَّف أمامها وتردَّد متحيِّرًا. فالكلمة العبرية ''عالماه alma'' تقابلها الكلمة اليونانية ''بارثينوس parthenos'' أي ''العذراء'' غير المرتبطة بزوج. وخَطَرَ له أنَّ الكلمة غير ملائمة أو ليست مقصودة لذاتها، وقد تتعرَّض ترجمته في هذه الحالة للانتقاد. وفكَّر أنه قد يكون الأوفق أن يستخدم الكلمة اليونانية ''نيانيس nianis'' أي ''شابة''، وهي كلمة عامة يمكن أن تعني امرأة صغيرة السن، متزوجة أو غير متزوجة. ولكن الروح القدس تدخَّل، وبحسب التقليد، فإنَّ ملاكًا ظهر له في رؤيا وأكَّد له صحة الكلمة المكتوبة، «وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ.» (لو٢: ٢٦)، أي ليس فقط يُعاين الأُم العذراء، بل والطفل الإلهي، وقد أتت به لتقديمه للرب.

هكذا ساق الروح القدس سمعان الشيخ إلى الهيكل كي يشهد تحقيق الوعد القديم الذي عقده الله مع إبراهيم: «وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ » (تك١٢: ٣).

بهدوء تمَّ التطهير والذبح والحرق ورش الدم، ولم يفطن الكاهن الخديم (الذي يُتمِّم الخدمة في الهيكل) أنه كان أمام ملك الملوك، كما أن مريم ويوسف أيضًا كانا يحسبان أن الأمر لن يتعدَّى التقدمة ثم العودة. ولكن كان هناك ثمة فصول باقية لن تُنسَى آثارها.

وها هو الشيخ الوقور يقترب من العائلة المقدسة وهو يئنُّ تحت وطأة السنين التي طالت[٥] في انتظار ''تعزية إسرائيل'' بمخلّص العالم. وإذ تجتاحه البهجة بمرأى «مسيح الرب» يتوق متجاسرًا أن يحمله، فتُقدِّمه له أُمه ويمدُّ ذراعيه ليحمله[٦]. وتقفز إلى ذهنه الوعود الإلهية بتعزية إسرائيل وكل الأُمم: «لِتُشِدِ الْجِبَالُ بِالتَّرَنُّمِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ، وَعَلَى بَائِسِيهِ يَتَرَحَّمُ.... أَشِيدِي تَرَنَّمِي مَعًا يَا خِرَبَ أُورُشَلِيمَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ. فَدَى أُورُشَلِيمَ، قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ الأُمَمِ، فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ الأَرْضِ

خَلاَصَ إِلهِنَا.» (إش ٤٩: ١٣؛ ٥٢: ٩، ١٠).

وإذ يتم الوعد القديم لسمعان بعد الانتظار الطويل، يشعر أنه أخيرًا قد حانت ساعة الانطلاق من العالم. وبفرحة الأسير، وهو يتحرَّر من قيود سجنه، يرفع عينيه نحو السماء هاتفًا: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ» (لو ٢: ٢٩، ٣٠).

ولكن قبل أن يمضي من الهيكل، يُحرِّك الروح القدس سمعان كي ينطق بشهادته مُنبئًا عن المهمة العُظمى للطفل الإلهي، فيُواصل قوله عن «خلاص الرب»: «خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ.» (لو٢: ٣١، ٣٢) صدًى لكلمات الكتاب: «فَقَدْ جَعَلْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ لِتَكُونَ خَلاَصِي إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (إش ٤٩: ٦). فالأُمم التي كانت في الظلمة وظلال الموت يُشرق عليها نور، وإسرائيل الذي ائتمنه الله على وعد الخلاص (يو٤: ٢٢) يتمجَّد بأن يأتي منه المخلِّص ابن داود.

ثم بَقِيَت رسالة خاصة مزدوجة يستودعها للأُم القديسة، وجزؤها الأول عن ابنها الذي يُشير إليه ويقول: «هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ.»(٧). فأمام خلاص المسيح ينقسم الناس فريقين: فالرافضون والمقاومون سيُقطعون في نهاية الأمر، أما المؤمنون فينجون من الموت ويستوطنون في ملكوته الأبدي.

والرب خلال خدمته واجه رؤساء الكهنة بنبوَّة إشعياء (٢٨: ١٦) عن نفسه أنَّ: «الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذلِكَ الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!» (لو٢٠: ١٧، ١٨). وقد أشار القديس بولس كيف أن اليهود اصطدموا بحجر الصدمة كما هو مكتوب (إش٨: ١٤): «... هَا أَنَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ، وَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُخْزَى» (رو ٩: ٣٢، ٣٣).

ثم يلتفت سمعان إلى العذراء ليقول لها الجزء الخاص بها: «وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ(٨)» (لو ٢: ٣٥).

وسمعان هنا يمدُّ بصره إلى بعيد مُستبقًا الأحداث القادمة الحافلة بالعذاب والدم والدموع حين تتراجع الأفراح الحالية لتحل محلها الآلام الساحقة "كسيفٍ" حاد يخترق قلبها بكل شدَّته، والابن المحبوب، وهو في الثالثة والثلاثين، يتعرَّض لحصار الظلم والكراهية قبل أن يرتفع نازفًا على صليب العار حتى الموت، « لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ»: بعضها يؤمن ويتبع ويُبشِّر بخلاصه، وبعضها يرفض ويضطهد ويُعادي إلى النهاية.

ولعل العذراء جفلت وانقبض قلبها عند سماع كلمات سمعان الشيخ، وظلَّت تحفظها مُتفكِّرة بها في قلبها، حتى اختبرتها بكل حقيقتها القاسية وحجمها الهائل يوم الصليب.

✝ شهادة حَنَّة النبيَّة:

ثم تجيء النبيَّة «وَكَانَتْ نَبِيَّةٌ، حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوئِيلَ مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ (٩)، وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ، (التي تجاوز عمرها القرن) قَدْ عَاشَتْ مَعَ زَوْجٍ سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ بُكُورِيَّتِهَا، لم تُفارق الهيكل أربعًا وثمانين سنة، وهي مثل سمعان كانت ممتلئة من الروح: «عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهارًا». وهي قد أقبلت بالروح في تلك الساعة نحو الجماعة الصغيرة المُباركة ووقفت معهم تُسبِّح الرب وتُقاسمهم فرحهم (لو ٢: ٣٦-٣٨).

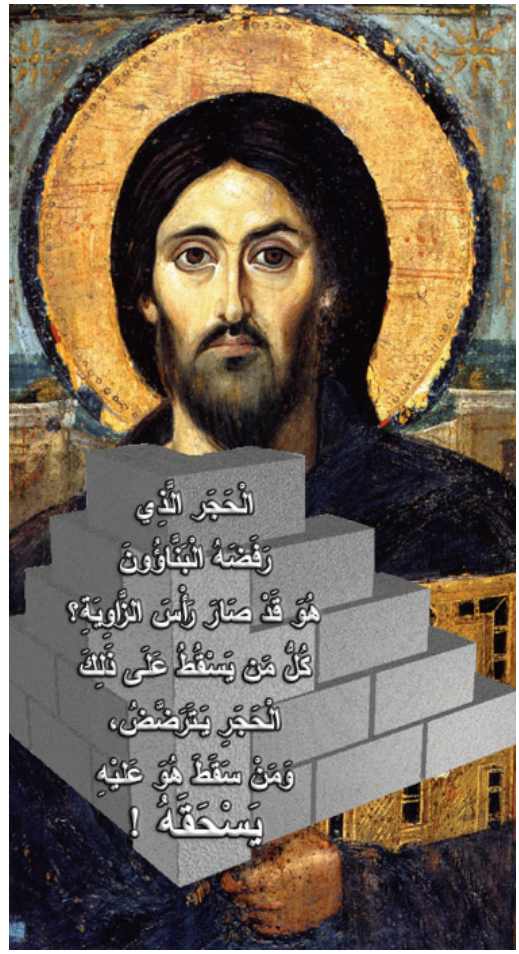

كم هي مغبوطة هذه الشيخة التقية، كما هو أيضًا سمعان الشيخ، اللذان يُقدِّمان نموذجًا مُضيئًا عندما تصير الشيخوخة بركة وصُحبة سعيدة مع الله، وليست مجرد أيام طويلة متشابهة تُقضَى بصعوبة مع الضعف والعجز والسأم، وهما اللذان عاشا على الرجاء «مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ.» (لو٢: ٣٨). وكانت الجائزة السعيدة، لقاء المخلِّص مع بداية قدومه إلى العالم. وهما بإيمانهما وحيويتهما الروحية يخزيان الشباب الذين يُبدِّدون أيامهم خضوعًا لرغبات الجسد، أو انحصارًا في هموم العيش، ومنهم مَن يسحقهم الاكتئاب بلا رحمة(١٠)؛ كما يخزيان الشيوخ الذين يفقدون حكمتهم، ويغفلون عن مصيرهم، وينشغلون بغرور الغِنَى ورفاهية الحياة، أو يتعلَّقون بالشهوات، أو يُمضون ما بَقِيَ من أيامهم يندبون حظهم ويجترُّون الأحزان.

وإذ تنفعل بالروح، بدأت حنَّة تتكلَّم عن الرب. ولعلها أخذت تستعيد النبوَّات عن المسيَّا مع مَن كانوا في الهيكل من الأتقياء، وتتذكَّر الآباء الذين طوتهم الأيام، وهم «من بعيد نظروا المواعيد وصدَّقوها وحيُّوها» (عب ١١: ١٣).

وها هو الرب يُكافئ المنتظرين فداءه على الرجاء. وكما اشترك الرجال في خدمة الخلاص كقادة وقضاة وأنبياء وملوك وكارزين، ها هُنَّ النساء ينلن كرامة بمريم العذراء وحنَّة النبية وكل مَن كُنَّ حول

الرب كي تتعزَّى بهن حواء أُم كل البشر (تك ٣: ٢)، بإسهامهن في الخطة الإلهية لتدبير الخلاص.

+ + +

على أنَّ احتفال الكنيسة بتقديم المسيح إلى الهيكل لا يصح أن يَعْبُر علينا كأنه تذكار خاص بالمسيح ورسالته الخلاصية، ولكنه يمكن أن يُحقِّق غاية ذاتية مُجدِّدة للحياة إنِ انتبهنا إليه كعيد لكلٍّ منَّا، كبارًا وصغارًا، رجالًا ونساءً، نحتفل فيه مع الرب بتكريسنا له تلاميذ وخدَّامًا.

بل إنَّ التزامنا الإيماني يقتضي أن يكون دخولنا إلى الكنيسة في كل مرة لا «كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ» (عب ١٠: ٢٥)، وإنما تجديدًا دوريًا لعهدنا «كمُقدَّسين للرب» (خر ٢٢: ٣١؛ لا ١١: ٤٢، ٤٥؛ يو ١٧: ١٩)، ورجوعًا بالتوبة إلى الله وتأكيدًا على السير على خُطَى المخلِّص وطاعة إنجيله، حاملين عاره (عب١٣: ١٣)، وقابلين بالفرح شركة آلامه (في٣: ١٠)، وصائرين نورًا للعالم وملحًا للأرض، مُقدِّمين محبة للقريب والغريب والعدو، وغالبين الشر بالخير، وكارزين للكل بخلاص الرب، ومستعدِّين كل يوم كسمعان للخروج من هذا العالم إلى العُرس السماوي، وفي كل صلاة نهتف معه مبتهجين: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ»(١١).

وهو نداء كل المؤمنين الحقيقيين رفاق المسيح الذين اختبروا خلاص الرب «ذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ» (عب ٦: ٤، ٥)، الذين ينطبق عليهم قول الرسول بولس: «لأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ.» (عب ١٣: ١٤). أما المتردِّدون الذين لم يحسموا أمرهم بعد في تبعية الرب، فالخوف يُحاصرهم من الساعة الأخيرة، ولا يستطيعون أن ينطقوا ما قاله سمعان وكل المستعدِّين. ولكن الرب طالبٌ مثل هؤلاء أيضًا، لأنه قد مات لأجلهم. وهو قادر على خلاصهم، ويقول لهم: « فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا.» (يو ٨: ٣٦).

دكتور ج. ن. سليمان

(١) باعتباره البِكْر، أي الابن الأول فاتح الرحم (وهو يكون البكر ولو لم يُولَد له إخوة من بعده)، وهو يخدم الله عِوَض أن يُقدِّم ذبيحة، إذ أنَّ الله افتدى كل أبكار إسرائيل في ضربة قتْل أبكار المصريين: «يَوْمَ ضَرَبْتُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ قَدَّسْتُهُمْ لِي.» (خر ١٣: ٢، ١٥؛ عد ٣: ١٣؛ ٨: ١٧). وفي دخول المسيح الهيكل تحقيق لنبوَّة ملاخي: «وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ» (مل ٣: ١).

(٢) قبل المسيح بأكثر من ألف عام، قدَّمت حَنَّة ابنها صموئيل ذا الثلاث سنوات كي يخدم الهيكل قائلة: «لأَجْلِ هذَا الصَّبِيِّ صَلَّيْتُ فَأَعْطَانِيَ الرَّبُّ سُؤْلِي الَّذِي سَأَلْتُهُ مِنْ لَدُنْهُ. وَأَنَا أَيْضًا قَدْ أَعَرْتُهُ لِلرَّبِّ.» (١صم: ٢٧، ٢٨).

(٣) ملك شاليم الذي عشَّر له إبراهيم – ولاوي في صُلبه – ونال بركته (تك ١٤: ١٨–٢٠؛ عب ٧: ٦، ١٠).

(٤) وهي أول ترجمة للعهد القديم والمعروفة بالسبعينية Septuagint LXX، وذلك بتكليف من بطليموس فيلادلفوس ملك مصر المقدوني (٣٠٩–٢٤٦ق.م) حوالي سنة ٢٨٠ق.م، لاستكمال مكتبة الإسكندرية العظيمة ولخدمة يهود الشتات في مصر الذين صاروا يتكلَّمون اليونانية السائدة بعد أن فقدوا لغة آبائهم العبرية. وفي الإسكندرية تمَّت أولًا ترجمة أسفار موسى الخمسة في ٧٢ يومًا، واستُكْمِلَت ترجمة باقي الأسفار خلال المائتي سنة التالية، وقد سُمِّيت هذه الترجمة فيما بعد بالنسخة الإسكندرانية Alexandrian Version.

(٥) وقد سكت الكتاب عن الإشارة إلى سنوات عمره (على غير ما جرى مع حنَّة النبيَّة) وإن كان التقليد يُقْرِن اسمه بالشيخ. ولابد أنه كان معروفًا تمامًا في أورشليم، فقد عاصر أجيالًا كثيرة.

(٦) لذا يُسمَّى سمعان: مضيف الله Host of God، ومتلقِّي الله God-Receiver، وحامل الله Theophoros. ولأن يوم دخول المسيح الهيكل كان أيضًا يوم لقائه بسمعان وحنَّة، فيُسمَّى هذا اليوم في التقويم اليوناني: "عيد التلاقي".

(٧) «وهو علامة من الله يُقاوَمونها»، حسب الترجمة العربية المشتركة، أي أنَّ المسيح نفسه هو العلامة (أي صورة الله وخلاصه) التي تُقاوَم. ولكن يمكن أن ينسحب الأمر على «علامة ابن الإنسان» (مت٢٤: ٣٠)، وهي صليبه. ومكتوب «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (١كو١: ١٨). كما أنَّ المسيح المصلوب هو للرافضين « لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!»، وأما للمدعوين منهم فهو «قُوَّةُ اللهِ وَحِكْمَةُ اللهِ» (١كو١: ٢٣–٢٤).

(٨) ومن نبوَّة سمعان هذه استوحت الكنيسة هذه الفقرة من قِطَع صلاة الساعة التاسعة مستعيدة مشاعر الأُم المكلومة تحت الصليب المختلطة بفرح كل المُخلَّصين: "عندما نظرت الوالدة الحَمَل مخلِّص العالم على الصليب مُعلَّقًا، قالت وهي باكية: أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابني وإلهي".

(٩) «حَنَّة» يعني: (نعمة) أو (حنان) أو (حنون)؛ و«فنوئيل» (تك ٣: ٣١) يعني: (وجه الله)؛ و«أشير» (تك ٣٠: ١٢) يعني: (سعيد) أو (مغبوط)، وهو واحد من الأسباط العشرة التي كوَّنت الجزء الشمالي من مملكة إسرائيل التي انقسمت بعد سليمان.

(١٠) تنفق الولايات المتحدة ٥٠ بليون دولار كل سنة لعلاج المصابين بالاكتئاب. كما أن هناك ٣١,٠٠٠ ينتحرون من كل الفئات كل عام، فضلًا عن آلاف غيرهم ينتحرون في أنحاء العالم. (١١) من إنجيل صلاة النوم والإنجيل الختامي لصلاة نصف الليل.

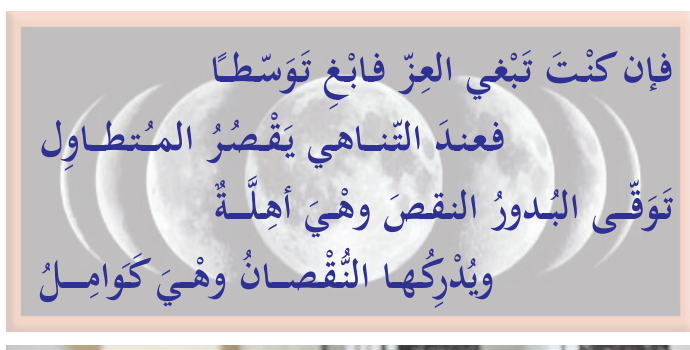

تجسد صاحب الصورة

القديس أثناسيوس الرسولي

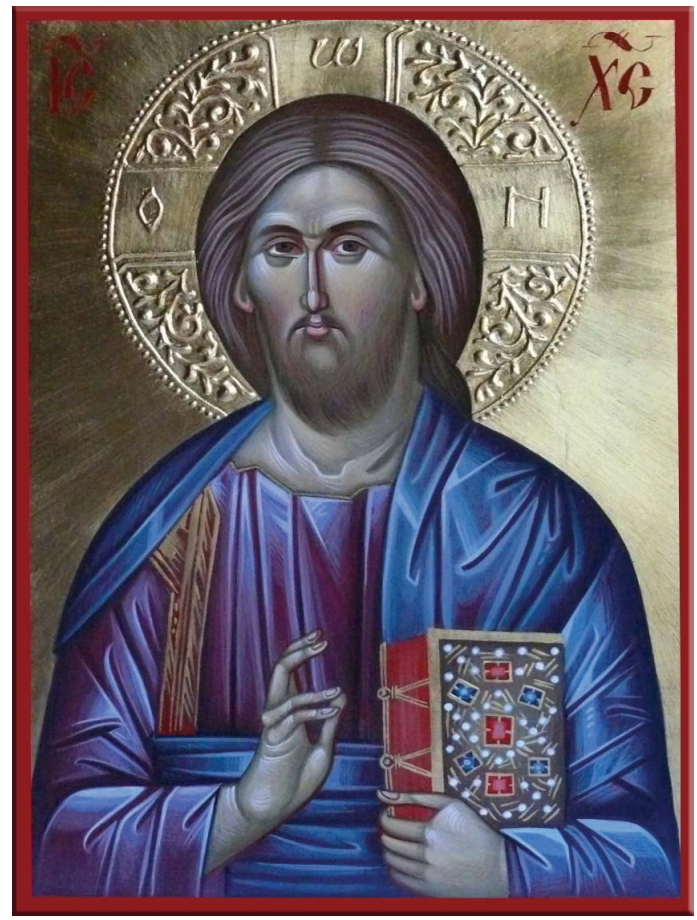

إن نعمة مماثلة الصورة الإلهية كانت كافية في حَدِّ ذاتها لكي تجعلنا نعرف الله الكلمة، ونعرف الآب بواسطته. غير أن الله إذ كان يعرف ضعف البشر، وضع في ٱعتباره أيضًا إهمالهم لمعرفة الله حتى اذا لم يهتّموا أن يعرفوا الله من تلقاء أنفسهم استطاعوا بواسطة المخلوقات أن يتجنبوا الجهل بخالقها.

ولأن إهمال البشر انحدر قليلًا قليلًا نحو السُفليات فقد أعدّ الله مرّة أخرى علاجًا لضعفهم هذا، فأرسل لهم ناموسًا وأنبياءَ معروفين لديهم، حتى أنهم إذا لم يرفعوا عيونهم إلى السماء ليعرفوا الخالق استطاعوا أن يتعلّموا (عن الله) ممّن يعيشون بينهم، وذلك لأن البشر يستطيعون أن يتعلموا من البشر أمثالهم عن الأمور العليا بطريقة مباشرة.

وهكذا كان مُتاحًا لهم إذا رفعوا عيونهم إلى عظمة السماء وأدركوا تناسق الخليقة أن يعرفوا مدبرها كلمة الآب (المسيح)، الذي بتدبيره لكل الأشياء يُعَرِّف الآب للجميع، وهو ٱلذى يحرّك كل الأشياء لهذه الغاية عينها حتى يستطيع ٱلجميع أن يعرفوا الله بواسطته.

أو لو صَعُبَ عليهم هذا لكان في مقدورهم على الأقل أن يلتقوا بالرجال القديسين، وبواسطتهم أن يعرفوا الله خالق الكل، أبا المسيح، وأن عبادة الأوثان هي كفر بالله ومملوءة بكل جحود وفساد.

أو كان متيسرًا لهم بمعرفتهم للناموس أن يكّفوا عن كل تَعَدٍ. وأن يعيشوا حياة الفضيلة لأن الناموس لم يكن فقط لليهود، ولا أُرسِل الأنبياء إلى اليهود فقط. ولكن، وإن كانوا قد أُرسِلوا لليهود ومن ٱليهود ٱضّطُهِدُوا إلَّا أنَّهم كانوا معلّمين مقدسين للمسكونة كلها، يُعلّمون عن معرفة الله وعن سلوك النفس.

وبالرغم من عِظَمِ (عظمة) صلاح الله ومحبته للبشر فإن البشر إذا غلبتهم شهواتهم الزائلة والضَّلالات والغوايات التى أرسلتها الشياطين فإنهم لم يقبلوا الحق بل ثقَّلُوا أنفسهم بالشرور والخطايا إلى الحدِّ ٱلذي يجعلهم لا يظهرون بعد كخلائق عاقلة، بل من طريقة تصرفاتهم يُحسبون مُجَرَّدِينَ من العقل.

وإذ صار البشر هكذا كالحيوانات غير العاقلة، وسادت غواية الشيطان فى كل مكان حتى حُجِبت معرفة الإله الحقيقي، فما الذى كان على الله أن يفعله؟

أيصمت أمام هذا الضلال العظيم ويَدَع البشر يضلون بتأثير الشيطان ولا يعرفون الله؟

وما هي الفائدة من خلق الإنسان أصلًا على صورة الله؟

كان من الأفضل له لو أنه خُلق مثل مخلوق غير عاقل من أن يُخلق عاقلًا ثم يعيش كالحيوانات غير العاقلة. أو هل كانت هناك ضرورة على الإطلاق أن يُعطَى فكرة عن الله منذ البداية؟ لأنه إن كان حتى الآن هو غير جدير أن ينالها، فكان الأولى ألَّا تُعطى له من البداية.

وما الفائدة التى تعود على الله الذي خلقهم وكيف يتمجّد إن كان البشر الذين خلقهم لا يعبدونه بل يظنون أن آلهة أخرى هي التي خلقتهم؟ لأنه بهذا يظهر أن الله قد خَلَقَهم لا لنفسه بل للآخرين.

ومرة أخرى نقول: أي ملك، وهو مجرد إنسان بشري، إذا ٱمتلك لنفسه بلادًا يترك مواطنيه لآخرين يستعبدونهم؟ وهو لا يدعهم يلتجئون لغيره، لكنه ينذرهم برسائله ثم يُرسل إليهم أصدقاءه مرارًا، وإن اقتضى ٱلأمر يذهب اليهم بشخصه، لكي يوبِّخهم بحضوره، كآخر وسيلة يلجأ إليها. وكل ذلك لكي لا يصيروا خُدامًا لغيره فيذهب عمله هباءً.

أفلا يشفق الله بالأولى على خليقته كي لا تَضِلَّ عنه وتعبد الأشياء التي لا وجود لها، وبالأكثر عندما يظهر أن هذه الضلالة هي سبب هلاكهم وخرابهم؟ وليس لائقًا أن يهلك هؤلاء الذين قد كانوا مرّة شركاء في صورة الله.

إذن فما هو الذى كان ممكنًا أن يفعله الله؟ وماذا كان يمكن أن يتم سوى تجديد الخليقة التي وُجدت على صورة الله، مرّة أخرى، ولكي يستطيع البشر أن يعرفوه مرّة أخرى؟ ولكن كيف كان ممكنًا لهذا الأمر أن يحدث إلَّا بحضور نفس صورة الله. مخلّصنا يسوع المسيح؟ كان ذلك الأمر مستحيلًا أن يتم بواسطة البشر لأنهم هم أيضًا خُلِقوا على مثال تلك الصورة.(وليس هم الصورة نفسها)، ولا أيضًا بواسطة الملائكة لأنهم ليسوا صُوَرًا (لله) ولهذا أتى كلمة الله بذاته لكي يستطيع وهو صورة الآب، أن يجدِّد خلقة الإنسان، على مثال الصورة.

وإضافة إلى ذلك فهذا لم يكن ممكنًا أن يتم أيضًا دون أن **يُباد الموت والفساد**.

ولهذا فقد كان من اللائق أن يأخذ جسدًا قابلًا للموت حتى يمكن أن يُبيد فيه الموت ويجدّد خلقة البشر الذي خلقوا على صورته. إذن فلم يكن كُفْؤًا لِسَدِّ هذه الحاجة سوى صورة الآب.

وكما أنه لو كانت هناك صورة لشخص مرسومة على قماش مثبَّت على لوحة خشبية وتلطّخت هذه الصورة من الخارج بالأقذار، مما أدى إلى ٱختفاء ملامحها، ففي هذه الحالة لابُدَّ من حضور صاحب الصورة نفسه ثانية لكي يمكن إعادة تجديد الصورة على نفس قماش اللوحة، فلا يُلقى بالقماش، لأن صورته رُسِمَت عليه ، بل يُجدِّد الرسم عليه مرّة أخرى.

وعلى هذا النحو، فقد أتى إلى عالمنا كلّي القداسة ابن الآب، إذ هو صورة الآب، لكي يجدّد الإنسان الذي خُلِق مرة على صورته، ويخلّص ما قد هَلَكَ بمغفرة الخطايا، كما يقول هو في الأناجيل «جئت لكي أطلب وأخلّص ما قد هلك». ولأجل هذا أيضًا قال لليهود «إن كان أحد لا يولد ثانية» وهو لا يقصد بهذا كما ظنوا الولادة من امرأة، بل قصد التحدث عن إعادة ميلاد النفس وتجديد خِلْقَتِهَا بحسب الصورة .

ولكن إن كانت العبادات الوثنية والمعتقدات الإلحادية قد سيطرت على المسكونة، وإن كانت معرفة الله قد أُخفيت، فمن ذا ٱلذي كان قادرًا أن يقوم بتعليم المسكونة عن الآب؟ وإن قال أحد إن هذه هي مهمة إنسان؛ أجبناه أنه لم يكن في ٱستطاعة إنسان أن يطوف المسكونة كلها وليس من طبيعته أن تكون لديه القدرة على الركض لمثل هذه المسافات الشاسعة، ولا هو يستطيع أن يدّعي القدرة على القيام بهذا العمل. كما أن البشر لا يستطيعون من تلقاء أنفسهم أن يقاوموا غواية الأرواح الشريرة وَحِيَلِهَا.

لأنه طالما أن الجميع ضلُّوا واضطربت نفوسهم بسبب غواية الأرواح الشريرة وأباطيل الأوثان فكيف كان ممكنًا لهم أن يغيّروا نفوس البشر (الآخرين) وعقولهم وهم أنفسهم عاجزون عن رؤية النفس والعقل؟ وكيف يمكن لأي كائن أن يغيّر النفس وهو لا يراها أو يعرفها؟

وقد يقول أحد إن الخليقة كانت كافية. لكن لو كانت الخليقة كافية لما حدثت كل هذه الشرور الفظيعة، لأن الخليقة كانت موجودة بالفعل ومع ذلك كان البشر يسقطون في نفس الضلال عن الله.

فإلى مَنْ إذن كانت الحاجة إلَّا إلى كلمة الله الذي يبصر (ويعرف) النفس والعقل، وهو المُحرِّك لكل ما في الخليقة، والتي من خلالها يجعل الآب معروفًا؟ لأن ذلك الذي بأعمال عنايته وتدبيره لكل الأشياء، يعلم عن الآب هو الذى يستطيع أيضًا أن يجدّد ذلك التعليم عينه.

وكيف كان ممكنًا أن يحدث هذا؟ ربما قال امرؤٌ إن هذا كان ممكنًا أن يحدث بنفس الطريقة السابقة، حتى أنه مرة أخرى، عن طريق أعمال الخليقة يمكن أن يُعْلَنَ معرفة الآب. لكن هذه الوسيلة لم تَعُد مضمونة، وبالتأكيد هي غير مضمونة، لأن البشر قد أهملوها سابقًا، بل أنهم لم يعودوا يرفعون أعينهم إلى فوق بل صاروا يشخصون إلى أسفل.

ولهذا كان من الصواب، إذ أراد منفعة البشر، أن يأتي الينا كإنسان آخذًا لنفسه جسدًا شبيهًا بجسدهم من أسفل. حتى يستطيع الذين لا يريدون أن يعترفوا به، من خلال أعمال عنايته وسلطانه على كل الأشياء، أن يبصروا الأعمال التي عملها بجسده، هنا على الأرض. ويعرفوا كلمة الله الحال في الجسد ومن خلال الكلمة المتجسد يعرفون الآب.

وكما أن المعلّم الصالح، الذي يعتني بتلاميذه، إذ يرى أن بعضًا منهم لا يستفيد من العلوم التي تَسْمُو فوق إدراكهم، فإنه يتنازل إلى مستواهم ويعلّمهم أمورًا أبسط، هكذا فعل كلمة الله كما يقول بولس « إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يُخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة».

ولأن البشر قد تركوا التأمل في الله وانحطَّت نظراتهم إلى أسفل كأنهم قد غاصوا في الأعماق باحثين عن الله في عالم الحسيّات، صانعين لأنفسهم آلهة من البشر المائتين ومن الشياطين، لهذا فإن مُحِبّ البشر ومخلّص الجميع كلمة الله أخذ لنفسه جسدًا وَمَشِيَ (سَارَ) كإنسان بين البشر، وجذب أحاسيس كل البشر نحو نفسه، لكي يستطيع أولئك الذين يظنون أن الله له جسد مادي، أن يدركوا الحق عن طريق الأفعال التي يعملها الرب بواسطة جسده، وعن طريقه يعرفون الآب.

ولأنهم بشر، ويفهمون كل شيء بطريقة بشرية، فعندما يستخدمون إحساساتهم الجسدية لتفسير هذه الأفعال ويحاولون فهمها بدقة فإنهم يرون أنفسهم قد قوبلوا في منتصف الطريق، وهكذا يتعلمون الحق من كل ناحية. فإن نظروا إلى الخليقة وعبدوها عن خوف فإنهم يرون مع ذلك أنها تعترف بالمسيح ربًا. وإن ٱتجهوا بأفكارهم إلى البشر، ظانين أنهم آلهة وجدوا رغم ذلك، أن أعمال المخلّص إن قورنت بأعمال البشر فإنها تُظهره هو وحده أنه ابن الله دون سائر البشر، لأنه لم يقم بينهم قط مَنِ ٱستطاع أن يعمل الأعمال التي عملها كلمة الله. أو إن ٱنحرفوا وراء ٱلأرواح الشريرة، فعندما يرون الكلمة يطردها يجب أن يدركوا أن كلمة الله وحده هو الله وأن تلك الأرواح ليست آلهة. أو إن كانت عقولهم قد هبطت إلى الأموات، فعبدوا الأبطال والآلهة التي تحدّث عنها شُعراؤهم، فإنهم بعد أن رأوا قيامة المخلّص فيجب عليهم أن يعترفوا أن تلك **الآلهة كاذبة**، وأن الربّ وحده هو الإله الحق، كلمة الآب، وهو الذي يسود على الموت أيضًا.

ولأجل هذا السبب وُلِد وظهر كإنسان، ومات، وقام. وهو قد أظهر بأعماله التي غطّت على أعمال كل من سبقوه من البشر، أن أعمالهم ضعيفة. وحتى إذا ٱنحرفوا إلى أية ناحية فإنه يستردهم من هناك ويعلّمهم عن أبيه الحقيقي، كما يقول عن نفسه: « أنا قد جئت لكي أطلب وأخلّص ما قد هلك».

«كَلْبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْئِهِ»

(٢بط٢: ٢٢)

مار إفرام السرياني

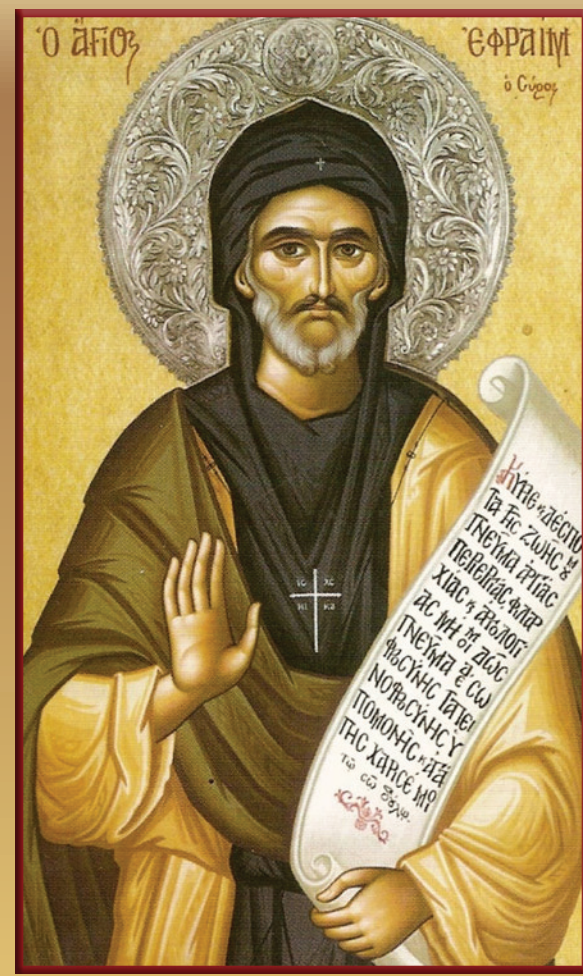

تعطفوا عليَّ أيها الأخوة إن كان في أحشائكم رأفة. ألم يذكر الكتاب في سفر الأمثال ما يلي: «أخ يساعده أخوه يصبح كمدينة شاهقة حصينة والاثنان معًا كمملكة ذات اساسات متينة» (أم ١٨: ١٩ س). ويقول الرسول يعقوب أيضًا: «اعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا.» (يع ٥: ١٦). تقبّلوا مني يا مُختاري الله توسل من يَعِدَكُم بأن يسير في رضى الله مع انه قد ظهر كاذبًا أمام جابله، حتى أنني بطلباتكم أخلص من خطاياي التي تُكبلني وأنهض معافى من سرير الخطيئة المُفسدة للنفس لأنَّني منذ صغري أضحيت إناء فارغًا لا قيمة له. والآن وقد سمعتُ عن الدينونة الآتية أَزدري بها وكأنَّني لم أرتكب أي خطأ أو جريمة. أَرشد الآخرين ليبتعدوا عن الأمور غير النافعة وأنا نفسي غارقٌ فيها وبصورة مضاعفة.

ويلي في أية دينونة وقعتُ؟ في أي خزيٍ أضحيتُ؟ الويل لي لأن خفاياي ليست كظواهري. لذلك إن لم تتداركني سريعًا رأفات الله لن يبقى لي أي رجاء خلاص. أتحدث عن الطهارة وفكر الزنى لم أَقْصِهِ عني. أتكلَّم عن اللاهوى وهاجسُ الأهواءِ المعادية لا يفارق تأمُّلي ليل نهار. الويل لي أي دفاعٍ أعطي؟ أي حُكْمٍ سأنال؟ إنني بالحقيقة مُزَيَّنٌ بمظهر التقوى لا بفعلِها. بأي وجه اتراءَى أمام الرب الإله العارف خفايا قلبي. أنني وأنا المجرم بأهوائي الكثيرة أجزع من الوقوف للصلاة لئلا تنزل نار من السماء وتحرقني. إن الرب قد أحرق **أبناء هارون ناداب وأبيهو** فأنزل عليهما نارًا من السماء لأنهما قدّما له في الصحراء تقدمة نار غريبة. فماذا أنتظر إذًا أنا المحاط بمثل هذا الثِقَلِ من الزلاّت؟!

ماذا أفعل إذًا؟ أأفقد الرجاء في خلاصي؟ حاشا!

ذلك أن العدو يحرّض الإنسان ويدفعه إلى اليأس وهكذا يسيطر عليه. أمّا أنا فلا أيأس لأن لي رجاء في رأفات الله وفي شفاعتكم، فتوسلوا دومًا إلى الإله المحب البشر من أجل أن يحرّر قلبي من عبودية الأهواء الشنيعة. لقد فسد قلبي وتشوّه فكري وأظلم عقلي. صرت أعود كالكلب إلى قيئه. وليس في ذهني نقاوة ولا دموع في عيني ابّان الصلاة. إن تنهدت عبس وجهي المخزي.

لأقرع إذًا صدري محط الأهواء!

المجد لك أنت يا من تحتملني. المجدُ لكَ يا طويل الأناة. المجدُ لكَ يا عديم الشر. المجدُ لكَ أيها الصالح. المجدُ لكَ أيها الحكيم. المجدُ لكَ أيها المُحسن إلى نفوسنا وأجسادنا. المجدُ لكَ يا مشرق الشمس على الصالحين، والأشرار والممطر الخيرات على العادلين والظالمين. المجدُ لكَ يا من تُطعم الأمم كلها كمن يطعم انسانًا واحدًا. المجدُ لكَ يا مغذّي طيور السماء والوحوش والزحافات والبشر، كمن يغذي عصفورًا صغيرًا واحدًا. الكل يتطلعون إليك من أجل أن تعطيهم الطعام المناسب. قدرتك عظيمة ورأفاتك ظاهرة في كل أعمالك يارب. من أجل ذلك أطلب منك ألّا تقصيني وتحصيني مع الذين يقولون لك يارب يارب ولا يتمّمون مشيئتك، بشفاعات جميع الذين أرضوك أيها العارف أهواء نفسي.

يارب أيها العارف جراح نفسي إشفني لأنني أريد أن أتعافى.

أيها الأخوة جاهدوا معي في صلواتكم. استمطروا رحمة من لدُن صلاحه. قطروا حلاوة في نفسي التي مرمرتها خطاياي. أنتم أغصان الكرمة الحقيقية فاروا نفسي من مَعِين الحياة. لقد وُلِدتم أبناءً للنور فأنيروا قلبي وأرشدوني أنا الضّال إلى سُبَل الحياة التي ثبتم فيها. أنتم وارثو الملكوت فأدخلوني الباب الملوكي كما يُدخل السّيد عبده الخاص لأن قلبي لا يقوى على الحراك. لتتداركني رأفات الله بتوسلاتكم قبل أن يسوقني فَاعِلُو الإثم. هناك ستكشف الأعمال التي صنعت في الخفية وفي العلن فأي خزي سيعتريني عندما سأدان أمام الذين يظنونني بلا عيب.

لقد تخليت عن الجهاد الروحي وخضعت للأهواء.

لا أريد أن أتعلم وأنا أُرشد الآخرين. لا أريد أن أطيع وأنا أسعى لإخضاع الآخرين. لا أريد أن أتعب وأنا أحمّل الآخرين بالمشقات. لا أريد أن أعمل وأنا أراقب أعمال الآخرين. لا أريد أن أكرم أحدًا وأنا أدعو الآخرين إلى تكريمي. لا أريد أن أُذَلَّ وأنا أَذُلُّ الآخرين. لا أريد

أن يتم آغتيابي وأنا أمارس النميمة. لا أريد أن أعرف فضائل الغير وأنا أنتظر من الكل المديح. لا أريد أن يمجّد الآخرون وأنا أسعى إلى أن أتمجّد. لا أريد أن أُستعبَدَ وأنا أسْتَعْبِدُ الآخرين. أبدو حكيمًا في إرشاد الغير أما أنا فلا أفعل. ما يجب ألّا يُعمل إياه أعمل وما يجب ألّا يُقال إياه أقول.

من لا يودّ أن يرثي لنفسي وأنا على هذا الحال!

أرثوا لي أيها الأبرار والصديقون أنا القابع في الآثام.أرثوا لي أنتم الذين أحببتم النور وأبغضتم الظلمة بينما أحببت أنا أعمال الظلمة وابتعدت عن أعمال النور.أرثوا لي يا ذوي الخبرة الحسنة أنا العديم الخبرة.

أرثوا لي أيها الرحماء والمتحننون انا الشقّي المُمَرْمَرْ.أرثوا لي يا عديمي اللوم انا الغارق في الآثام. أرثوا لي يا مُحبي الصلاح ومبغضي الشر أنا المُحب للأعمال الشريرة والمبغض للصالحات.أرثوا لي يا ممارسي الحياة الفاضلة أنا السالك في السيرة الملائكية في الشكل فقط.يا من يرضون الله أرثوا لي أنا االمُرضي ذاته. يا من آمتلكتم المحبة الكاملة أرثوا لي أنا الذي يحب قريبه بالكلام فقط ويبغضه بالأعمال. يا من آهتممتم بخلاص نفوسكم أرثوا لي أنا المُهتم بنفوس الآخرين والناسي نفسي. يا من صبرتم وأثمرتم بالله أرثوا لي أنا العديم الصبر والثمر. يا من رغبتم في تأديب ذواتكم وتعليمها أرثوا لي أنا العاصي البطال. يا من طلبتم من الله بِدَالَّةٍ أرثوا لي أنا غير المستحق لأن أنظر إلى علوّ السماء. يا من آكتسبتم وداعة موسى أرثوا لي أنا الذي فقدتها بإرادتي. أيها الحاصلون على عفة يوسف أرثوا لي أنا الذي نبذتها. يا من سُررتم بصوم دانيال أرثوا لي أنا الذي حرمت منه طوعًا. يا من حصلتم على صبر أيوب أرثوا لي أنا الغريب عنه. أيها العديمو القنية كالرسل أرثوا لي أنا البعيد عنها جدًا. يا من آمنتم ووثقتم بثبات في الرب أرثوا لي أنا الغارق في الشك والجبن وعدم الخبرة. يا حافظي هيكل الله طاهرًا أرثوا لي أنا الذي دنّسه. يا ذاكري آنفصال النفس والموت المُحَتَّم أرثوا لي أنا الذي لا أذكره. يا مالكي ذكر الموت والدينونة في ذهنهم أرثوا لي أنا المعترف به والعامل بعكس ما ينطوي عليه. يا وارثي ملكوت السموات أرثوا لي أنا المستحق نار جهنم.

ويلي لأن الخطيئة لم تدع فيَّ أي عضو سليمًا، ولا أية حاسة بلا فساد.

يا أخوة النهاية على الأبواب. ها قد بَيَّنْتُ لكم جراحات نفسي فلا تنسوني إذاً أنا الشقي، لكن توسّلوا إلى الطبيب من أجل المريض، إلى الراعي من أجل الخروف، إلى الملك من أجل الأسير، إلى الحياة من أجل المائت. حتى أجد بربنا يسوع المسيح الخلاص من خطاياي التي تتسلط عليَّ، فيُرسل حينئذ نعمته ويمسك بنفسي المنزلقة لأني على استعداد لمقاومة الأهواء. أنني يا أخوة أتصارع معها، والشيطان يأتي بألاعيبه الشريرة ليشل حيويّة نفسي عن طريق اللذات، فَأَضْحُو أسيرًا لها، ثم أعود وأجاهد في سبيل التخلص من الحريق لكن النار تجتذبني مرة أخرى. وأسارع لأنقاذ الغريق الغارق في أمواج الخطيئة فأغرق أنا معه بسبب عدم خبرتي.

أريد أن أصير طبيبًا للأهواء وها أنا رازح تحت وطأتها. عوض أن أطبّب المريض أوبّخه. أنا أعمى وأودّ أن أقود عميانًا. لذلك ألتمس أن تقام الصلوات من أجلي حتى أعود إلى نفسي وتظللني نعمة الله وتنير قلبي المظلم فتسكن فيه النعمة الإلهية ذلك أن لا شيء مستحيل عند الله. هو الذي مَكّن شعبه أن يجتاز البحر الذي يستحيل عبوره، وهو الذي أمطر عليهم المنّ وأرسل لهم السلوى مثل رمل البحر، هو الذي روّى العطشى ماءً من صخرة صمّاء. هو الذي بصلاحه أنقذ الساقط في أيدي اللصوص. فليترأف عليَّ بصلاحه أنا الواقع في الخطايا والموثوق كالأسير في الكراهية. فكيف يمكنني أن أَمْثُل أمام ذلك الذي يفحص القلوب والكلى. لا أحد يستطيع أن يشفي ألم نفسي سواك أنت يا من تعرف أعماق قلبي.

كم عاهدت نفسي وشيّدت أسوارًا بيني وبين الخطيئة الأثيمة، لكن ذهني خرق الحدود وانهدمت الأسوار. ذلك أن العهود لم تكن مُثَبَّتَة على مخافة الله القدير، والأسوار لم تكن مُشَيَّدة على توبة صادقة. لذلك أعود الآن وأقرع من أجل أن يفتح لي. أداوم على الابتهال عَلِّي أحظى بإستجابة لتوسلي.

أطلب منك الرحمة يارب رغم وقاحتي.

أنت تمنح الصالحات أيها المخلص وأنا آتي بأعمال شريرة. أصبر عليَّ بطول آناتك أنا المُعْوَجُّ. أنا لا أنشد غفرانًا لأقوال باطلة فحسب، بل غفران خطايا أعمالي الرديئة. فاغفر لي يارب وحرِّرني من كل عمل شرير قبل أن تدركني النهاية، وبذلك اجد نعمة من لَدُنِكَ في ساعة الموت إذ من يعترف لك في الجحيم يارب؟ خلص يارب نفسي من الخوف الآتي، وَنَقِّ برأفاتك وصلاحك لباسي المُدَنَّس، حتى أصير أهلًا لملكوتك المضيء أنا غير المستحق.

وإذ أَصِلُ إلى الفرح الذي لا يوصف أهتِفُ: المجدُ لكَ يا من أنقذ نفسي الشقية من فم الأسد ووضعها في فردوس النعيم. لأنه لك أيها الكلي القداسة ينبغي المجد إلى كل الدهور آمين.

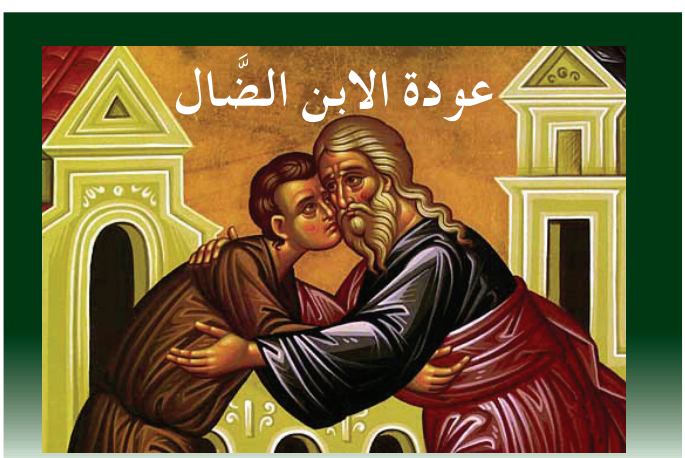

قُـل لِلَـذِي ظَـنَّ ٱلحَيَاةَ تَعِيسَـةً
وَمَضَى يُفَتِّشُ عَـنْ سَعَادَةِ قَلْبِهِ
لَـنْ تَسْتَقِيمَ حَيَاةُ عَبْدٍ مُعْـرِضٍ
عَـنْ رَبِّـهِ حَتَّى يَـعُـــودَ لِـرَبِّـهِ

اختيار الراعي

القديس غريغوريوس النيسي

هذا هو الرَّاعي المختوم بختم وهبة الروح القُدُس

فلا بُدّ لكم جميعًا والحالة هذه من غيرة شديدة وحميّة متّقدة حتى يختار الروح القدس راعيًا لا تتطلّع عيناه إلّا إلى أمور الله، ولا يلتفت نظره إلى أي شيء ما يستهوي أبناء هذه الحياة. لهذا، في رأيي كانت شريعة اللاويين تحرم اللاوي من الميراث الأرضي، حتى لا يكون له نصيب، على حدّ ما كتب إلّا الله، ويُحافظ على هذا النصيب أبدًا، فلا تميل نفسه إلى أيّ شيء ماديّ.

إذا كان هنالك غير مُبالين، أو كنا نحن كذلك، فلا يضطرب أحدٌ في سلوكه بسبب ذلك: ما يفعله البعض مما لا يليق لا يُتيح للآخرين ان يسلكوا سلوكًا غير لائق. عليكم أنتم بخلاف ذلك، أن تسلكوا سلوكًا يساعد الكنيسة على التطوُّر نحو الأفضل بعودة المشتّتين إلى اتّساق الجسد الواحد، وعودة الروح القدس إلى التوهُّج في جمهورِ مَن يمجدون الله بتقوى. لأجل ذلك أرى من الجدير بكم أن تتوجّهوا إلى شخص يريد صالح الكنيسة، بحيث يكون المُنتخب قادرًا على إدارتها.

أن يُطلب ما بين صفات الأسقف **الأصل، والغنى، والجاه**، ليس ذلك ما يطلبه الرسول (١ تي ٣). إذا كانت إحدى هذه الصفات تُلازم طبيعيًا من يتولّون مناصب الإدارة، وتكون كالظل الذي يُرافق الحقيقة، فلا مانع، ولكن إذا كان الأمر غير ذلك فان تقديرنا يكون لما هو أغلى قيمةً وان لم ترافقه الصفات السابقة.

النبي عاموس كان راعي ماعز، وبطرس صياد سمك، وكذلك أندراوس أخوه، وكذلك يوحنا السامي القدر. بولس كان صانع خيام، ومتى عشّارًا، ولم يكن الباقون قناصل، ولا قُوّادًا، ولا حكّامًا، أو أشخاصًا عُرفوا بالبلاغة أو الفلسفة، بل كانوا بؤساء، جهّالًا، ومن أصل وضيع. ومع ذلك «فقد ذاع صوتهم في جميع الأرض، وكلامهم إلى أقاصي المسكونة» (مز ١٨).

قال الرسول: «فَانْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ، بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ.». قد يكون اليوم أيضًا في نظر الناس من الجهل والحقارة أن يفقد الإنسان رصيدهُ وأن يكون الفقرُ وَضِعَةُ الأصل في أساس بؤسه (القاعدة لبؤسه هو شدّة فقره). ومن يدري، قد يكون هذا هو الذي تُفرغ عليه النعمة قرن الزيت المقدس، وإن كان دون العظماء والوجهاء قيمةً اجتماعيّة؟

ما كان الأفضل لمدينة روما في البدء؟ أن تتّخذ لادارتها أحد الأشراف والنُبلاء المتعجرفين من مجلس الشيوخ أو **الصياد بطرس**، الذي لم يكن له شيء من هذا العالم يجلب له الشهرة؟ ما كان مسكنه؟ من كان خدّامه؟ أيّ الأملاك كانت مداخيلُها في أساس ترفه ورفاهيته؟ وهذا الغريب المحروم من السقف والمائدة كان أشدّ غِنىً من الذين يملكون كل شيء، لانه بفقدانه كل شيء كان يملك الله بكامله.

وكما أن سكان ما بين النهرين، الذين كانوا جماعة بذخ وغنى، اختاروا **توما** لقيادتهم، والكريتيين **تيطس**، وسكان أورشليم **يعقوب**، ونحن سكان كبادوكية **قائد المائة** الذي اعترف في أثناء الآلام بألوهة الرب – يوم كان فيهم شرفاء كثيرون، وساسة خَيْل، ومتقدمون في مجلس الشيوخ. وقد نجد في كل كنيسة ان العظماء عند الله قد أُوثروا على البهارج العالمية. أرى انه يجب عليكم أنتم أيضًا في الحالة الحاضرة أن تنظروا إلى هذه الأمثلة، وذلك إذا كنتم ترغبون في إحياء ما كان لكنيستكم من مقام قديم ...

انه أَمِنَ ٱلمُخجل، أيها الأخوة، ومما لا معنى له، أن يقود قبطان السفينة وهو لا يعرف فن القيادة، فكم بالحري يمكن الإنسان أن يقبض على سكان الكنيسة وهو يجهل قيادة نفوس المبحرين معه إلى مرفأ الله. كم من كنيسة غرقت بأبنائها بسبب قصور رؤسائها! من يستطيع أن يُحصي النكبات التي نبصرها بعيوننا والتي كانت لتقع لو كان الرؤساء على شيء من الخبرة في القيادة!

مثلٌ آخر: لا يُسلّم الحديد إلى أناس تنقصهم الخبرة في صُنع الأدوات، بل إلى أولئك الذين يعرفون فنّ الحدادة. يجب إذن تسليم النفوس أيضًا إلى من يعرف تليينها بحرارة الروح القدس، وبأدوات تشكيل روحية يستطيع أن يصنع من كل واحد منكم «إناءً مختارًا» يَحسُن استعماله.

إلى هذا التبصُّر بالأمور يدعونا الرسول، في رسالته إلى تيموثاوس، فيسنّ قوانين لجميع مستمعيه قائلًا إنَّ الأسقف يجب أن يكون بغير مُشتكى. هل تنحصر رغبة الرسول في ان يكون هكذا المنتدبُ للكهنوت دون سواه؟ أيّ فائدة لأن يكون الخير محصورًا في واحد؟ ولكن الرسول يعلم أن الأدنى يتشبه بالأعلى، وأن فضائل الرئيس تصبح فضائل جميع من يتبعونه، لأن المعلِّم يشكّل التلميذ على شكله. لا يمكن ان يكون من نشأ على فنّ الحدادة أن يمارس فنّ الحياكة، ومن تدرّب على الحياكة أن يكون خطيبًا أو مهندسًا، ولكن

من يراه التلميذ في معلمه ينتقل إليه. لهذا قيل: «كل تلميذ إذا اكتمل يكون مثل معلمه» (لو ٦).

فماذا إذن أيها الأخوة؟ أمن الممكن أن يصير متواضعًا، ليّن الجانب، موزونًا، مترفّعًا عن المكسب، حكيمًا في الأمور الإلهية، أليفًا للفضيلة والدّعة في سلوكه، مَن لا يرى هذه الصفات عند مُعلِّمه؟!!!

لا، لا أدري كيف يصير روحانيًا **من كان تلميذًا لابن دُنيا**: كيف لا يكون على صورته مَن تشكّل بشكله.

أيّ فائدة للعطاش في عظمة البئر إذا خلت من الماء؟ حتى إذا ارتفع مدخلها على أعمدة متّسِقة الهندسة، في تنوّع أشكالها، فماذا يطلب العطشان ليروي عطشه: أن يُشاهد حجارة حسنة التنسيق، أو أن يجد ماءً، حتى إذا كان جاريًا في مجرى خشبي ينسربُ منه سائل صالح للشرب؟ هكذا، أيها الأخوة، من نظر بعين الاعتبار إلى التقوى لم يهتمّ بالظواهر الخارجية. حتى إذا كان أحدٌ فخورًا بأصدقائه، ومزهوًّا بقائمة مراتبه، وكان دَخلُه السنوي ضخمًا، وكان يستعلي بسلالته، ويغرق من جميع النواحي في دُخان عجرفته، فيجب اهمالُ مثل هذا كما تُهمل البئر الجافة، إذ انه لا يملك الصفات الجوهرية في الحياة.

يجب بالأحرى السعي، ما أمكن ذلك، وعلى ضوء مصباح الروح القدس، إلى اختيار من هو «جنةٌ مُقفلة وينبوع مختوم» على حد قول الكتاب. وهكذا إذ تصبح لنا أطايبُ الجنّة، بالرسامة، في مُتناولنا، يتمكن ماء الينبوع من الجري، وتصبح النعمة التي فيها الملك المشترك للكنيسة كلها.

فليمنحكم الرب أن تجدوا سريعًا في ما بينكم مثل هذا الرجل فيكون «إناءً مختارًا»، «عمود الحق وقاعدته». ثقتنا في الرب أن الأمور ستجرى هكذا إذا اجتمعتم على توخّي الخير العام، مقدّمين إرادة سيدنا يسوع المسيح على إرادتكم الخاصة، «ما هو صالح، وما يرضيه، وما هو كامل»، حتى يتسنى لكم من النجاح ما يكون لنا سبب فخار، ولكم علّة الابتهاج، ولإله الجميع داعي التمجيد، هو الذي ينبغي له المجد إلى الأبد. آمين

الجنس قبل الزواج

الشيخ أبيفانيوس ثيودوروبولوس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

يتساءل الكثيرون من المسيحيين: إذا أقمنا علاقة جنسية قبل الزواج بخمس دقائق يكون الأمر **خطيئة**، أمّا إذا أقمنا هذه العلاقة بعد الزواج بخمس دقائق فنكون على ما يرام؟

هذه هي بالضبط طبيعة الأسرار وقوّتها: تغيير الأشياء، تبديل الظروف، تحويل الأحداث، تقديس الخاطئ، مباركة الممنوع، ورفع الأرضي إلى السماء.

"خمس دقائق" قبل أن يبارك الكاهن الخبز والخمر على المائدة المقدسة يكون الخبز خبزًا والخمر خمرًا، ولكن بعدها بخمس دقائق يكون أمامنا **جسد ربنا ودمه!**

مناولة الموعوظين قبل "خمس دقائق" من معموديتهم هي **خطيئة كبيرة**، أما بعد خمس دقائق فالمناولة عمل أساسي ومقدّس.

قبل "خمس دقائق" من سيامة الأسقف، يبقى المُنتَخَب كاهنًا ولا يستطيع سيامة إكليريكي، ولكن بعد خمس دقائق من إتمام سيامته في القداس الإلهي، يمكنه سيامة كهنة وشمامسة.

ولكن لماذا نبقى في إطار أسرار كنيستنا الإلهية الفائقة الطبيعة؟ لربما يوجد ما يوازي هذه الأمور في حياتنا، أي حياتنا الأرضية.

قبل "خمس دقائق" من توقيع عقدٍ ما من كاتب العدل والأطراف المعنية يكون العقد ورقًا وحسب، ولكن بعد خمس دقائق يصير مستندًا عموميًا **غير قابل للجدل** ذا نتائج (حقوق وواجبات) قانونية لا يسبر غورها أحيانًا.

قبل "خمس دقائق" من توقيع اتفاقية ما، لا تكون الاتفاقية سوى ورقٍ وغلافٍ، ولكن بعد "خمس دقائق" يصير لها قوة تحديد مصير مئات الملايين من الممتلكات.

قبل "خمس دقائق" من تنصيب رئيس يكون مواطنًا عاديًا لا سلطة خاصة له، ولكن بعد "خمس دقائق" تُعطى له القدرة على حل الحكومة والبرلمان.

نعم، إنها "خمس دقائق" قبل الزواج تكون فيها العلاقة الجسدية خطيئة، وبعده بخمس دقائق تصير شيئًا آخَرَ.

التوبة تمنحنا الرجاء في الخلاص, وهي عدوّة لليأس, هي التي تمنحنا مفاتيح السماء, وهي التي تسمح لنا بأن نصل للفردوس وهي إلى النهاية تنتصر على الشرير وَتُقَوِّي رجاءنا في الأفلات منه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الحرومات العشر

القديس غريغوريوس اللاهوتي

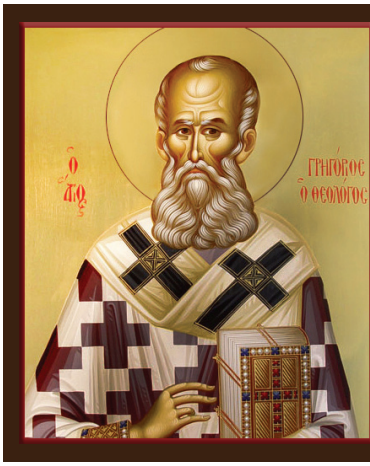

١– من لا يقبلْ القديسة مريم كوالدة الإله فليس له علاقة بالإله.

٢– ومن يَقُلْ أن الإله قد جاء عن طريق العذراء (كما من قناة)، ولكنه لم يتكوَّن فيها بصورة إلهية وبشرية ("إلهية" لأنها بدون زوج، و"بشرية" بحكم قانون الحمل)، فهو أيضًا غير مؤمن بالله.

٣– ومن يَقُلْ أن الإنسان قد تكوَّن (أولًا)، ثم بعد ذلك لبسه الله فهو مُدان، فإن هذه ليست ولادة لله، ولكن إنكار للولادة.

٤– ومن يَقُلْ بابنين، واحد من الله الآب، وابن ثان من الأم، وليس ابن واحد وذات الابن، فإنه يفقد التبني (أف ١: ٥) الموعود للذين يؤمنون إيمانًا صادقًا. هناك طبيعتان: الله والإنسان، (حيث أن هناك نفسًا وجسدًا) ولكن ليس ابنان أو إلهان. وإن كان بولس قد تحدث عن «إنساننا الداخل» و«إنساننا الخارج»، فإننا لا نتعامل مع إنسانين.

وكخلاصة، فإن عنصري مخلصنا مختلفين (فإن الأشياء المرئية وغير المرئية والزمنية وغير الزمنية مختلفة وليست نفس الشيء) ولكنهما ليسا كائنين بشريين مختلفين– حاشا لله أن يكونا هكذا.

إن الاثنين واحدًا بالاندماج، حيث أن الله تأنس، والإنسان تألَّه، ويمكن التعبير عن هذه الحقيقة بأي تعبير آخر.

وأنا أقول هنا «شيئين مختلفين» (أي اللاهوت والناسوت) كعكس حالة الثالوث الأقدس، ففي هذه الحالة نقول «آخرين» (متمايزين) لكي لا نخلط الأقانيم، ولكن لا نقول «أشياء أخرى»، لأن الثلاثة واحد وهم نفس الشيء: الله.

٥– ومن يتكلم عن «التنشيط بالنعمة» كما يحدث مع الأنبياء، ولا يتحدث عن «الاتصال» (انضمام السيد المسيح للبشرية)، فكلامه خالٍ من أي وصف للعمل السامي للتجسد، بل هو مليء بالعكس.

٦– ومن لا يعبد المصلوب فهو محروم، ويُعد مع قتلة الله (اليهود الذين صلبوا المسيح).

٧– ومن يَقُلْ أنه قد وصل للكمال بأعماله، أو أنه – كما يسجل الوثنيون أسماء الغرباء في السجل المدني – أُعتُبر مستحقًا للتبني بعد أن اعتمد أو بعد قيامته من الأموات، فهذا محروم. فرغم أن الكلام هنا أساسٌ فيما يخص إعلانه عن ذاته تدريجيًا، إلَّا أن من يبدأ ويتقدم ويكمل ليس هو الله.

٨– ومن يَقُلْ أن جسد المسيح قد استبعد الآن، وتجردت ألوهيته من الجسد، وينكر أنه موجود جنبًا إلى جنب مع الشكل الذي أخذه وسوف يأتي به فلن يُعاين المجد الآتي.

أين جسد المسيح الآن إن لم يكن مع الذي لبس هذا الجسد؟

لا يمكن أن يكون مُخزنًا بعيدًا في الشمس طبقًا لهذيان جماعة المانويين، ولا يمكن أن يكون قد تبعثر في الجو، وانحلّ مثل الصوت الحي أو كعطر يختفي، أو برق يظهر بسرعة دون أن يبقى طويلًا.

وبماذا نفسر مشاهدة التلاميذ له بعد قيامته أو ظهوره في وقت ما مستقبلًا لمن طعنوه (يو١٩: ٣٧؛ زك١٢: ١٠). إن الألوهية بطبيعتها غير مرئية، ولكنني أقول أنه سيأتي مع جسده، مثل الذي ظهر به للتلاميذ على الجبل (مت ١٧: ٢)، وتكون الألوهية مسيطرة على الجسد الضعيف. ونحن نذكر الجسد البشري والألوهية معًا: الجسد لكي ندحض الشك، والألوهية لتصحيح البِدَعِ.

٩– ومن يَقُلْ أن جسد المسيح قد نزل من السماء. وليس من مصدر هنا على الأرض بيننا فهو محروم.

إن الآيات «الإنسان الثاني الرب من السماء» (١ كو ١٥: ٤٧)، و«كما هو السماوي هكذا السماويون أيضًا» (١ كو ١٥: ٤٨)، و«ليس أحد صعد إلى السموات إلَّا الذي نزل من السماء ابن الإنسان» (يو ٣: ١٣)، وأي نصوص أخرى من هذا النوع يجب أن تؤخذ على أنها تنطبق على الاتحاد مع السماوي، بنفس الطريقة مثل «كل شيء به كان» (يو١:٣)، و«ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣: ١٧) ، ليس من ناحية استعلان الله بالظهور ولكن من ناحية الله كما يختبر بالعقل فقط. وكما أن الطبيعتين تمتزجان فهكذا أيضًا الأسماء التي يمكن استخدامها بالتبادل بناءً على أنهما (الطبيعتان) متحدتان.

١٠– ومن وضع أمله في إنسان بلا عقل، فإنه أيضًا بلا عقل، وغير مستحق للخلاص ككل.

وما لم يؤخذ لا يخلص، ولكن ما يتحد بالله يخلُص.

ولو كان نصف آدم هو الذي سقط كان نصفه أيضًا هو الذي يخلُص، ولكن إذا سقط الكل فإن الله يتحد بكل الشخص المولود ويخلصه كله. لذلك فإن على مجادلينا ألا يقلِّلوا من خلاصنا الكلي، أو يبتدعوا مُخَلِّصًا مكونًا من عظام وأوتار عصبية وصورة إنسان فقط. وإذا كان الإنسان بدون نفس فإن هذا ما يقوله الأريوسيون أيضًا، بقصد انطباق المعاناة على الألوهية، بحيث يكون من يحرك الجسد (الإله) هو أيضًا من يعاني، وإذا كان له نفس وليس له إدراك عقلي فهل يمكن أن يكون بشرًا؟ الإنسان ليس حيوانًا بدون عقل! وطبقًا لرأيهم لابد أن الشكل (الخيمة الجسدية) كان بشريًا، ولكن النفس يمكن أن تكون نفس حصان أو بقرة أو حيوان آخر غير عاقل. كان هذا هو ما سوف يتم خلاصه! ولكن إذا كان للإنسان إدراك عقلي، وكان له عقل وليس مجردًا منه، فعلى هؤلاء الناس أن يتوقفوا عن التصرف بهذه الطريقة التي تخلو من العقل.

عصا القديس سابا (باتيريتسا Pateritsa)

عندما قربت نهاية القديس سابا المتقدّس (القرن السادس) أخبر رهبانه بأن يتوقّعوا في يوم ما في المستقبل البعيد أن أحد رؤساء الأساقفة وهو رجل لله ويحمل اسمه نفسه سوف يأتي من الغرب. وطلب من الرهبان أن يعطوه عصا الرعاية خاصته (pateritsa) وأيقونة لوالدة الإله. وهم سوف يعرفون الشخص المناسب إذ إن العصا سوف تقع على الأرض في لحظة سجوده لقبر القديس.

بعد مائتي سنة تقريباً من رقاد القديس، أضاف القديس يوحنا الدمشقي أيقونة والدة الإله ذات الثلاث أيدي (Tricherousa) إلى كنوز الدير. الأيقونة المذكورة هي التي من خلالها تمّت معجزة رد يد القديس يوحنا الدمشقي بعد قطعها.

بعد سبعمائة سنة من رقاد القديس سابا، زار القديس سابا الصربي الدير، وهو كان رئيس أساقفة صربيا في حينها، وعند زيارته للأراضي المقدسة مرّ للتبرك من قبر شفيعه. وكان رهبان دير القديس سابا ما زالوا يحفظون نبوءة أبيهم ومؤسس ديرهم. فما أن سجد القديس سابا الصربي أمام قبر القديس سابا المتقدّس حتى وقعت العصا على الأرض. تكرر الأمر في اليوم التالي ما أزال كلّ شكّ لدى رهبان الدير، وتأكّدوا أنّ القديس الصربي هو رئيس الأساقفة الذي كانوا ينتظرونه لقرون. فأهدوه العصا (pateritsa) وأيقونة العذراء ذات الثلاث أيدي.

من هنا وصلت الأيقونة والعصا إلى دير خيلاندراري في جبل أثوس. فالقديس بعد أن كان ملكاً على صربيا، ثم رئيس أساقفة، ترك الدنيا وتنسّك في دير خيلاندراري حيث رفاته إلى اليوم محجة للأرثوذكسيين.

اليوم، يوجد في كارياس عاصمة الجبل قلاية تعود إلى دير خيلاندراري اسمها الباتاريتسا (pateritsa)، حيث العصا الأبنوسية المطعّمة بأنياب الفيل، محفوظة في خزانة في الممر الشمالي في كنيسة التجلّي التي في القلاية.

فبشفاعة قديسَيك سابا المتقدّس وسابا الصربي أيها الرب ارحمنا.

معجزة رد يد القديس يوحنا الدمشقي

أيقونة والدة الإله ذات الثلاث أيدي

العصا الأبنوسية المطعّمة بأنياب الفيل

موقف المسيحيّ إزاء الموت

للقديس كبريانوس أسقف قرطاجة

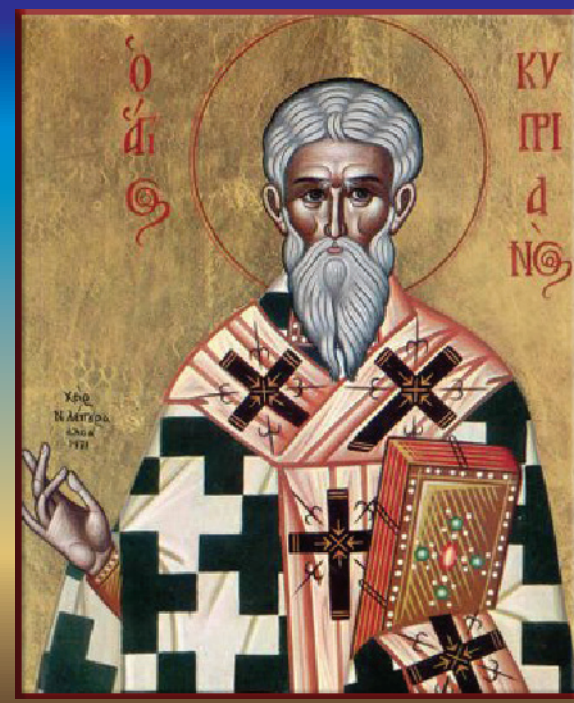

نقلتها عن الفرنسية، راهبات
دير القديس يعقوب الفارسي المقطع، ددة – الكورة

لقد نالت كنيسة المسيح في قرطاجة نصيبًا يُعتدّ به في حمل الصليب، فهي قد عاصرت **اضطهاد داكيوس**، وعانت الأَمَرَّيْن من جرّاء ما أنزله بها الفرس في العام ٢٥٢م من خسائر وأضرار جمّة، وكذلك من الرعب الذي ساد الموقف في كلّ مكان. ولم تكد هذه الاضطهادات التي أرهقت الشعب تكفّ حتّى تفشّى **وباء الطاعون** في كلّ البلاد، حاصدًا الكثير الكثير من نفوس العباد، فأصبح الموت رفيق الناس الوفيّ الذي يأبى أن ينأى بظلّه عنهم. لذا هبّ الأسقف **القدّيس كبريانوس الشهيد** (٢٥٨م) ليضمّد كلوم أولاده الأليمة، فكتب لهم مشدّدًا مقالات تناول فيها الموت ومعناه من منظار مسيحيّ إيمانيّ قائلًا: «إنّ المؤمن لا يُعفى من التجربة الواقعة، بل يجب أن يخوضها بشجاعة وينتصر عليها. فالمؤمن ينظر إلى الموت نظرته إلى الراحة بعد الصراع، من خلال نداء المسيح له».

يفتح الموت للمسيحيّ أبواب الأبديّة، ويساعده لجني المكافأة النهائيّة. لذا لا يخشى المسيحيّ المؤمن من الانطلاق إلى عالم أفضل حيث الغبطة الدائمة الموعود بها في الكتب الإلهيّة. وبهذا المعنى يقول القدّيس كبريانوس: «دعونا نفكّر، أيّها الإخوة الأعزّاء، بأنّنا منذ الآن قد زهدنا في العالم، وتخلّينا عن مسرّاته، وبأنّنا نعيش على هذه الأرض كضيوف وغرباء، لا بل كنزلاء وقتيّين. لا بدّ لكم، يا إخوتي، أن تقتنوا فكرًا حازمًا، وإيمانًا ثابتًا أكيدًا غير عابئين بالخيرات الزائلة الفانية، إيمانًا شجاعًا يتصدّى لاضطرابات هذا العالم، و يتحدّى أوهامه الكاذبة، لأنّه بإيمان كهذا يصون المؤمن ذاته من الغرق في صعاب هذه الحياة. لِنَتُقْ إلى اليوم الذي فيه سيُحدَّد لكلّ منّا مسكنه الخاصّ، إلى اليوم الذي نعود فيه إلى الفردوس وإلى ملكوت السماوات، وقد حُرِّرنا من قيود هذه الدنيا.

إنّ أهميّة الإيمان وقيمته تكمنان في مقاومة التجارب. إنّي ألاحظ البعض بينكم لا يشهدون بجدّية وحزم لعمل الروح القدس الكائن في داخلهم، ربّما بسبب ضعف إيمانهم، أو بسبب تعلّقهم بمباهج هذه الحياة وملذّاتها، أو بسبب جهلهم للحقّ الإلهيّ. لن أتوانى عن تحذيركم فأقول: ثقوا بوعود الله، وارهبوا فتور الهمّة والانقياد للأفكار الباطلة. وطننا الحقيقيّ هو السماء حيث ينتظرنا عدد لا يحصى من الأحبّاء والإخوة والآباء والأمّهات والأبناء، الذين يشتاقون إلى حضورنا بينهم، مترجّين خلاصنا. فلنسرع، إذًا، في الوصول إليهم والالتحاق بهم، متطلّعين بحرارة نفس أن نكون في أقصر وقت عندهم مع المسيح.

لا يليق بمن تجنّد لله أن يبدي أيّ اضطراب أو قلق تجاه العواصف التي تعكّر عالمنا، بل بالأحرى أن يتمسّك بالله، واضعًا رجاءه عليه. لقد سبق المسيح وأنبأنا عن الحروب والمجاعات والزلازل هنا وهناك، وعن كلّ الحوادث الأخرى التي سوف تطالعنا في مسيرة حياتنا، مشجّعًا ومثبّتًا إيّانا، نحن أعضاء كنيسته، لكيما نكون قادرين على مواجهة ما سوف يحدث في نهاية العالم. إنّ إعلانه عن الكوارث التي ستظهر كعلامات لنهاية الزمان الحاضر، والتي تتحقّق تدريجيًّا، تظهر لنا أنّ إعلاناته ليست بكاذبة، وكذلك وعوده للمؤمنين به الذين ينتظرون مجيئه الثاني مع ملائكته القدّيسين لكي يحاكم كافّة أجناس البشر من كلّ أطراف الأرض، وها هو يدعونا لنسمع قوله: «مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ.» (لوقا ٢١: ٣١).

أيّها الإخوة الأحبّاء، لقد أُعدّت لنا الأبديّات عوضًا عن الفانيات، والسماويّات عوضًا عن الأرضيّات، والأمور الجليلة عوضًا عن الباطلة. إنّ الأشياء التي فقدناها، بخضوعنا للخطيئة، كالفرح بالخلاص الأبديّ كمكافأة عن جهادنا في هذه الحياة الحاضرة، والرجوع إلى الفردوس، والغبطة الدائمة، سوف تعود إلينا مع انتهاء العالم. كلّ من لا يُقَدِّر قيمة هذا الميراث، يرتعب من الموت وهو عديم الرجاء وقليل الإيمان. فالذي يخاف من الموت لا يرغب في المضيّ إلى المسيح. ومن يا تُرى لا يريد ذلك؟ هو ذاك الذي لا يؤمن بأنّه سوف يملك مع المسيح إلى الأبد.

وكما نَعُمَ البارّ سمعان الشيخ بالراحة الأبديّة، هكذا أيضًا سيتذوّقها كلّ رجل صدّيق، لأنّه مكتوب: «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا» (رو ١: ١٧). فالإنسان البارّ يحيا بالإيمان إن كان حقًّا يؤمن بالله. لماذا لا تثق بوعود الله غير الكاذبة يا من أنت مَدْعُوٌّ لكي تكون مع المسيح؟ إنّ وعوده ما هي إلّا دعوة صادقة لِلِقَائِهِ، ونوال الحريّة من قبضة الشيطان، أفلا يفرّحك هذا؟!

لقد حفظ سمعان الشيخ الصدّيق والبارّ ومثال الشوق للانطلاق،

وصايا الله، وأيقن بوعده بإيمان كلّيّ، وبوحي إلهيّ عرف بالروح بأنّه لن يرى الموت قبل أن يعاين المسيح الربّ، فما إن أتى بالطفل يسوع أبواه إلى الهيكل، وعرفه الشيخ، حتّى أدرك أنّه لا بدّ له أن ينطلق من هذا العالم. لقد ترقّب الموت وانتظره بفرح. لم ينزعج، بل احتضن الطفل بذراعيه، وهتف مباركًا السيّد: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ» (لو ٢:٢٩). شهد سمعان بأنّ خادم الله، عندما يتحرّر من عواصف هذه الحياة، يفلت من عذابات هذا العالم المريرة، ويدركه السلام والحريّة والهدوء والطمأنينة. إنّنا بالموت نبلغ الميناء الخلاصيّ حيث تجد النفس راحتها الدائمة وسلامها الحقيقيّ وأمانها الأبديّ.

فالحياة هي **كفاح مستمرّ ضدّ الأهواء والشيطان والعالم**. المؤمن على هذه الأرض، هو في حرب لا هوادة فيها ضدّ الشهوات الجسديّة وإغراءات هذا العالم، وهو في جهاد دائم ضدّ سهام إبليس الذي يحاصر فكر الإنسان من كلّ جانب، وبالجهد يستطيع هذا المجاهد الأمين أن يقاومها. فإن استهان مثلًا بحبّ المال، أثار عليه الشهوات الأخرى، وإن انتصر على الشهوات، أسره بحبّ الظهور، وإن ازدرى بحبّ الظهور والشهرة، حاربه بالغضب والكبرياء، وأغراه بالسكر بالخمر، وطعنه بالحسد، ومزّق وفاقه مع الآخرين، وأفسد صداقاته بغيرة مرّة (لديه غيرةٌ شديدة) وجعل اللعن والحلف قرين لسانه، فيصبح متعدّيًا الناموس الإلهيّ لا عاملًا به.

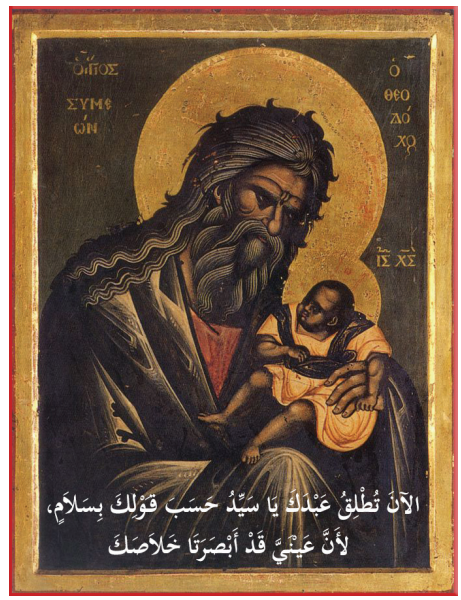

كم من الاضطرابات تجابهها النفس كلّ يوم، وما أكثر الأخطار التي تحدق بالقلب من جرّاء ضغط الملمّات وحروب الشياطين، ورغم ذلك نفرح ببقائنا طويلًا على الأرض بينما كان الأجدر بنا أن نوجّه كلّ اشتياقاتنا ورغباتنا في الإسراع للالتقاء بالمسيح. فالربّ علّمنا قائلًا: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ. أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ.» (يو ١٦:٢٠). فمن منّا لا يشتاق أن يتحرّر من هذا الحزن؟ ومن منّا لا يتطلّع لنوال هذا الفرح؟ ومتى يتحوّل حزننا إلى فرح؟ هذا ما أعلنه لنا الربّ بقوله: «وَلكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضًا فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ، وَلاَ يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ» (يو١٦:٢٢). ما دام فرحنا هو في رؤية المسيح، فأيّ غمّ يصيب أذهاننا، وأيّ جنون ينتابنا حتّى نحبّ أحزان العالم وضيقاته ودموعه أكثر من الغبطة التي لا يمكن لأحد أن ينتزعها منّا؟ إنّ مصدر المتناقضات والمضادّات التي تعوقنا عن لقاء المسيح يكمن في نقص إيماننا. وكما ذكرت سابقًا إنّ سبب ارتباطنا بالعالم ومحبّتنا له يعود، يا إخوتي الأحبّاء، إلى ضعف إيماننا، وعدم ثقتنا بوعود الله لنا.

الله صادق، وكلمته ثابتة لمن يؤمن به، لا بل هي حقيقيّة أبديّة. فإذا وعدكم إنسان ذو مكانة مهمّة وشأن عظيم بأمر ما، ألا تثقون بوعده من دون أن تشكّوا في إمكانيّة خداعه لكم؟ طبعًا الجواب نعم، لأنّكم تعرفون أنّه صادق في كلامه، ويفي بوعده. فكم بالأحرى يجدر بنا ألّا نشكّ إطلاقًا في وعد الله لنا بالحياة الأبديّة؟ فإن ساورنا الشكّ وعدم الإيمان، نكون قد أظهرنا جحودنا وأخطأنا إلى المسيح، وأثبتنا عدم معرفتنا العميقة به، وهذا ما يثير سخط الله علينا، وأعني بهذا خطيئة الشكّ والكفر بالمسيح معلّمنا وسيّدنا. أيعقل أن نكون أبناء الكنيسة والإيمان ونحن لا نملك الإيمان؟ **السعادة الحقيقيّة، يا إخوتي، هي خارج هذا العالم.**

يا لها من فائدة جليلة ننعم بها بانطلاقنا من هذا العالم!! لقد رأى السيّد المسيح ما فيه خير نفوسنا إذ عندما لاحظ، مثلًا، مدى حزن تلاميذه عندما أزمع أن يمضي إلى الآب قال لهم: «لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ» (يو١٤:٢٨). يعلّمنا السيّد بهذا القول كم ينبغي أن نفرح عند رحيل أحد أحبّائنا من هذا العالم، وألّا نحزن متذكّرين قول الرسول بولس: «لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ.» (في١:٢١). هنا يعتبر الرسول الموت ربحًا أعظم من الحياة، ولا يستطيع أن نناله في هذا العالم. بالموت نلبّي دعوة المسيح لنا ونفرح بالخلاص الأبديّ. بالموت ننعتق من خطايا الجسد ورذائله، ونتخلّص من ضغط العالم المحزن، ونتحرّر من أنياب الشيطان السامّة.

هناك من يعتقد بأن المرض لا يصيب إلّا غير المؤمنين. ومن هذا المنظار، فالمسيحيّ مُعفى منه كما لو كانت غاية إيمان المسيحيّ هي اتّقاء الأمراض والأخطار، والتمتّع بسعادة هذا العالم، ناجيًا من كلّ أذى، وارثًا الغبطة الأبديّة من دون أن يتعرّض لهموم هذا العمر وضيقاته وآلامه. والبعض يتعجّب كوننا معرّضين للموت كالوثنيّين وغير المؤمنين ويتساءلون قائلين: ما الفرق إذًا بيننا وبينهم ما دام جسدنا خاضعًا للموت نظيرهم؟ نجيب هؤلاء بقولنا إنّنا نشترك مع كافّة البشر في كلّ خصائص هذا الجسد طالما نحن في هذا العالم. إلّا أنّنا نتميّز عنهم في الروح، أي «لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ، لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ.» (٢كو ٥:٤)، ثمّ يقودنا الروح القدس بعد ذلك إلى الآب.

فنحن نشترك إذًا مع غير المؤمنين في كلّ شيء. فإذا حصلت مجاعة، أو أصاب الأرض قحط وما عادت تنتج إلّا المحاصيل الضعيفة، فإنّ هذه الظواهر تشمل الجميع. وإن غزا العدوّ مدينة، وسبا سكّانها أو شرّدهم، فهذا يطال الكلّ أيضًا من دون أيّ تمييز بين مؤمن وغير مؤمن. كذلك عندما يحتبس المطر ويتهدّدنا الجفاف. أو إذا تحطّمت سفينة فإنّ الغرق يهدّد كلّ من على متنها من دون فرق. وهكذا يعاني الجميع من أمراض العيون والحمّى وغيرها... طالما نحمل كلّنا هذا الجسد الفاني الواحد بصفاته وضعفاته.

التجربة تُطهّر الإنسان المؤمن. فإذا عرف المسيحيّ بأيّ ناموس هو يؤمن، لأدرك حتمًا بأنّ عليه أن يتألّم ويتحمّل أكثر من غير المؤمنين طالما هو عرضة لحروب الشيطان بالأكثر، لذلك يقول الكتاب المقدّس: «يَا بُنَيَّ، إِنْ أَقْبَلْتَ لِخِدْمَةِ الرَّبِّ الإِلهِ، فَاثْبُتْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَأَعْدِدْ نَفْسَكَ لِلتَّجْرِبَةِ» (بن سيراخ ٢:١-٢) وأيضًا «كلّ ما أتاك فاقبله واصبر على الألم في اتضاعك. كن صبورًا، لأنّ الذهب يُجرَّب بالنار والناس المقبولون يجرَّبون في أتون التواضع» (بن سيراخ ١٢:٤-٥). هاك أيّوب مثالًا إذ لم تَخُرْ عزيمته ولم ينهزم بعد أن فقد كلّ ممتلكاته وأبنائه الأعزّاء إلى جانب قروحه ودوده، إنّما على العكس، أظهر صبرًا وسط بلاياه وأتعابه فقال: «عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا» (أي١:٢١). وعندما استفزّته زوجته، لجهلها، لكي يخطئ إلى الله ويجدّف قال لها: «تَتَكَلَّمِينَ كَلاَمًا كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟». فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ.» (أي٢:١٠)، ولذلك شهد له الربّ قائلًا لإبليس: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ» (أي١:٨).

أمّا **طوبيّا** بعد أن عمل الخير والرحمة بنُبلٍ وإخلاص، احتمل فقدان بصره، ثابتًا في مخافة الله، ومباركًا إيّاه في خِضَمّ آلامه: «وَلكِنَّهُ ثَبَتَ فِي خَوْفِ اللهِ، شَاكِراً لَهُ طُولَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ.» (طو٢:١٤). وإذ بدأت زوجته تعيّره أيضًا قائلة: أين هو ربّك؟ فليأت وينظر ما تتحمّله من آلام، أمّا هو فكان يتشدّد ويتقوّى بخوف الله متسلّحًا بإيمانه، ومحتملًا الآلام غير مستسلم لضعف زوجته. وهكذا تزكّى طوبيّا أيضًا بالأكثر ومدحه **الملاك رافائيل** بعد ذلك: أَمَّا أَنَا فَأُعْلِنُ لَكُمَا الْحَقَّ وَمَا أَكْتُمُ عَنْكُمَا أَمْراً مَسْتُوراً. إِنَّكَ حِينَ كُنْتَ تُصَلِّي بِدُمُوعٍ وَتَدْفِنُ الْمَوْتَى وَتَتْرُكُ طَعَامَكَ وَتَخْبَأُ الْمَوْتَى فِي بَيْتِكَ نَهَاراً وَتَدْفِنُهُمْ لَيْلاً، كُنْتُ أَنَا أَرْفَعُ صَلاَتَكَ إِلَى الرَّبِّ وَإِذْ كُنْتَ مَقْبُولاً أَمَامَ اللهِ كَانَ لاَ بُدَّ أَنْ تُمْتَحَنَ بِتَجْرِبَةٍ. وَالآنَ فَإِنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَكَ، وَأُخَلِّصَ سَارَةَ كَنَّتَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَإِنِّي أَنَا رَافَائِيلُ الْمَلاَكُ أَحَدُ السَّبْعَةِ الْوَاقِفِينَ أَمَامَ الرَّبِّ» (طو١٢:١١-١٥).

كذلك لم يتذمّر أيضًا **الرسل الأبرار** بسبب الضيق الذي لحق بهم، بل كانوا يتقبّلون كلّ ما يأتي عليهم بشجاعة وصبر كبيرين بخلاف الشعب اليهوديّ الذي أسخط الله في البريّة بتذمّره الدائم كما يشهد عليهم سفر العدد بقوله: فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لاَ يَمُوتُوا» (عد ١٧:١٠). احفظوا ذواتكم من كلّ تذمّر، أيّها الإخوة الأحبّاء، واحتملوا بصبر وشجاعة كلّ ما يحدث لكم إذ إنّه مكتوب: «القلب المتخشّع والمتواضع لا يرذله الله» (مز ٥٠:١٧)، والروح القدس يحذّرنا على فم **موسى النبيّ** في سفر التثنية فيقول: «وَتَتَذَكَّرُ كُلَّ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْقَفْرِ، لِكَيْ يُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ: أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لاَ؟ »(تث ٨:٢). وأيضًا: «لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِكَيْ يَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ.» (تث١٣:٤).

وكذلك أيضًا تجربة **إيمان إبراهيم** أتت صورة واضحة على رضى الله عليه لعدم تذمّره عندما أمره أن يقدّم **اسحق ابنه** ذبيحة. إنّ إبراهيم لم يتردّد، ولم يَخْشَ فقدان وحيده. فإن كان الإنسان بحالته الطبيعيّة المقترنة بالضعف البشريّ لا يستطيع أن يحتمل فقدان ابنه عندما يأتي موته طبيعيًّا، فكيف يكون حاله إذًا إن أُمر أن يقوم هو بذبحه؟ يحتاج الإنسان، في كلّ وقت، إلى مخافة الله والإيمان القويّ حتّى يكون مستعدًّا لقبول كلّ طارئ مُحزن سواء كان خسارة ماديّة كفقدان الممتلكات، أو خسارة في الأرواح كموت زوجته أو أولاده أو أحد أحبّائه. على المؤمن الحقيقيّ أن يجاهد ولا يدع إيمانه يضعف أو يخور أو يُسحق، بل بالحري، فليظهرْ إيمانُه قوةَ نضاله ومدى ثقته بالخيرات المنتظرة التي تجعله يزدري بأحزان هذا الزمان الحاضر. وعلينا أن نعلم بأنّه إن لم تكن هناك معركة، فلن يكون هناك انتصار، وبالتالي لن تكون هناك أكاليل للظافرين. إنّ الربّان الماهر يُعْرَفُ وسط العاصفة، والجنديّ يُخْتَبَرُ في ميدان القتال. وهكذا أيضًا، فاجتياز الضيقات هو اختبار للفضيلة وإظهار للشجاعة الحقيقيّة. إنّ الشجرة ذات الجذور الضخمة لا تتزعزع مهما عنفت العاصفة، والسفينة التي يقودها طاقم ماهر لا تترنّح متى لطمتها الأمواج ولا تتكسّر. وهكذا أيضًا عندما يدرس الفلاّح القمح في الأجران لا يترسّب منها في الأسفل سوى الحبّات الثقيلة، أمّا التبن فيتطاير بعيدًا عند أوّل نفخة ريح.

كم من مرّة تعرّض **القدّيس بولس** للغرق ولانكسار السفينة إلّا أنّه بقي راسخاً لم ينله حزن ولا تأسّف، بل حملت له الجلدات والعذابات القاسية جزيل الفائدة، إذ بقدر ما احتمل من أحزان بقدر ما نال من تزكية وتعزية وشجاعة لذلك يقول: «وَلِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي، لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ. مِنْ جِهَةِ هذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كو ١٢:٧-٩). فمتى كُنّا ضعفاء وعاجزين عندئذ تكمل قوّتنا، وإن جاهدنا يتثبت إيماننا ونتكلّل، كما هو مكتوب: «آنِيَةُ الْخَزَّافِ تُخْتَبَرُ بِالأَتُونِ، وَالإِنْسَانُ يُمْتَحَنُ بِحَدِيثِهِ. » (بن سيراخ ٢٧:٥).

إنّ الفرق شاسع بيننا وبين من لا يعرفون الله إذ نراهم دائمي التشكّي والتذمّر إبّان الضيقات، أمّا نحن المؤمنين، فالضيق لا يثنينا عن حياة الجهاد لبلوغ الفضيلة وعن الإيمان بالحقّ. بمكابدتنا الآلام يقوى إيماننا ونزداد صلابة وقوّة على الاحتمال. فالمؤمن بثباته في الاحتمال ينال

المكافأة على الضيق والأمراض التي تستنفِدُ كلّ قواه الجسديّة. كلّ هذه الإصابات والخسائر الجسديّة تساهم في تزكية الإيمان، وتعطي مجدًا وبركة للروح التي تحتمل بقوّة وهدوء الهجمات المتعدّدة والمتكرّرة. فيا لسموّ لتلك النفس التي تنتصب ثابتة وسط هذه الأمراض ولا تسقط مع الذين لا رجاء لهم في المسيح، بل تفرح منتهزة الفرصة التي وهبها لها الله لكي تتقدّم وتسير في الطريق الضيّق الذي سار فيه الربّ، وتنال المكافأة على أتعابها التي كابدتها بإيمان وطيد. فمن يخاف من الموت يبرهن أنّه لم يولد بعد من الماء والروح ولم يختبر صليب المسيح وآلامه. إنّه يخاف الموت لأنّه ينتظر بعد الموت موتًا آخر أي النار الأبديّة والعقاب الدائم. من يخاف الموت يفرح بعمره المديد إذ يُتاح له تأجيل تنهّداته وتأوّهاته. الإنسان البارّ لا يخشى الموت أبدًا. المسيحيّ المؤمن حقًّا يُعتبر الموت انتقالًا وتحرّرًا من رباطات هذا العالم. إذا كان الموت هو كارثة بالنسبة لليهود وللوثنيّين ولمن لا يعرفون المسيح، فهو على العكس بالنسبة لخدّام الله إذ إنّه سبب نياح وراحة وخلاص. من الواضح أنّ الموت يصيب الجميع الأبرار والأشرار، وكلّهم يخضعون لجسد الموت هذا الصالحون والطالحون على السواء، إلّا أنّ الأبرار يذهبون إلى الراحة الأبديّة أمّا الأشرار فإلى العذاب الأبديّ. لقد استفاد الصالحون الذين أرضوا الله من مناسبات عديدة في هذه الدنيا لكي يربحوا الملكوت. فالعذارى انتقلن من هذا العالم بسلام داخليّ مكلّلات بإكليل المجد بلا وجل من تهديدات أعداء المسيح، وبلا خوف من شرّ الحكّام واضطهادهم، ولا من إفساد عفّتهنّ. بالموت ينجو الأولاد من تحمّل الضيقات التي تفوق قدرة عمرهم البريء وعودهم الطري إذ يتخلّصون من التجارب الصعبة، وينالون السعادة والغبطة بفضل نقاوتهم. بالموت لا تعود الفتاة المدلّلة تهاب مضطهديها ومعذّبيها. إنّ الخوف الذي يُحدثه الموت الحتميّ في النفوس وبخاصة في الأوقات العصيبة (كالتي تفرضها علينا الحروب أو الأمراض وما شابهها...) يمد النفوس اللامبالية أو ربّما الخائرة بالحميّة والقوّة، ويحفز غير المؤمن لكي يعود إلى إيمانه، ويدعو الكفّار إلى التوبة، ويدعو الشباب إلى دخول المعركة، والشعب المؤمن إلى طلب الراحة الأبديّة. أعداد وافرة من فئات مختلفة من الناس تستعدّ لمواجهة الموت في كلّ وقت وساعة طالما تحمل هذا الجسد القابل الموت والفساد.

أيّها الإخوة الأحبّاء، ما المغزى من ترادنا هذا لذكر الموت؟ نعم، قد يكون الموت وباءً مرعبًا يفتك بالناس ولا ينجو منه أحد. بيد أنّه في الوقت ذاته يُختبر فيه برّ كلّ إنسان، وتُمتحن أفكار الناس، ويُكشف مدى اهتمام الأصحّاء بالمرضى، وترفّق الإنسان بقريبه، وعطف السادة على الخدّام، واستجابة الأطبّاء لصرخات المصابين. نعم، إنّ هذا الوباء يحثّ القساة لكي يتخلّوا عن قساوة قلوبهم، ويوحي للجشعين بالابتعاد عن محبّة المال، وينبّه المتشامخين ليحنوا رقابهم وداعة واتّضاعًا، ويأمر الأشرار أن ينزعوا عنهم شرّهم وفسادهم. إنّ هذا الوباء يعلّم المسيحيّين ألّا يخافوا إذ يجعلهم يشتاقون للاستشهاد، فيمسي ذكره تدريبًا لهم على الثبات في الإيمان والتأمّل في ساعة خروج النفس من الجسد استعدادًا لربح الإكليل.

ربّما يعترض البعض قائلين: إنّ المرض الذي حلّ بنا سبّب لنا الكدر الكبير إذ حرمنا من نعمة الاستشهاد واحتمال الآلام، وبهذا يضيّع علينا فرصة ثمينة. يجب أن تعلم، أوّلًا، بأنّ الاستشهاد هو هبة من الله فاحص القلوب والكُلى، والعارف الخفيّات، وهو سوف يكافئك على هذا الشوق الذي يعتمر في قلبك، وإن كنت لم تحققه بالفعل. هل **قتل قايين** أخاه عندما كان يقوم بتقديم الذبيحة؟ إنّ الله، بسابق علمه ومعرفته، أدان القتل الذي رآه داخل **قايين**. فكما رأى الله هذا الفكر الشرّير والنيّة السيّئة، هكذا أيضًا يرى هذا الاشتياق للاستشهاد داخل من يشتهيه. فالله الديّان يكلّل القصد والنيّة في عمل الفضيلة. من الثابت أنّ هناك فرقًا بين أن تكون لديك هذه النيّة أو لا تكون، أو إن لم تسمح لك الظروف بتحقيقها رغم ترقّبك لها، واعلم أنّ دينونة الله ستكون على حسب ما في قلبك. فالله نفسه شهد قائلًا: « فَسَتَعْرِفُ جَمِيعُ الْكَنَائِسِ أَنِّي أَنَا هُوَ الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبِ» (رؤ ٢:٢٣). إنّ الله لا يطلب منك الدّم بل الإيمان. **فإبراهيم واسحق ويعقوب** لم يستشهدوا بسفك الدم، ولكنّهم، رغم ذلك، كُرّموا لعظيم إيمانهم وَبِرِّهِمْ، فاستحقّوا أن ينالوا المجد والإكرام. وسوف يجتمع على مائدتهم السماويّة كلّ من كان أمينًا وبارًا وجديرًا بالمديح. لنكن منطقيّين مع ذواتنا إذ كيف نطلب في صلاتنا أن يمرّ الله علينا بالخضوع لمشيئته تحقيقًا للصلاة التي علّمنا إيّاها (لتكن مشيئتك)، بينما نعصى أمر الموت كالعبيد المتكبّرين المتصلّبي الرأي، فيكون رحيلنا كُرهًا وليس طاعة لإرادة الله، وبعدها ننتظر المكافأة السماويّة في السماء من الذي أتينا إليه رغمًا عنّا وبعكس رغبتنا؟!! فلماذا نطلب بحرارة أن يأتي ملكوته إذا كانت تأسرنا لهذا الحدّ الأمور الأرضيّة؟ وهل نرغب حقًّا في البقاء هنا على هذه الأرض مستعبدين للشيطان عوضًا أن نملك مع المسيح؟ إن كان الجواب لا، فلماذا التأجيل إذًا؟

أن يتفجّع الإنسان أمام الموت، هذا يعني أنّه ناقص الإيمان. لقد طلب الربّ منّا تكرارًا، نحن الضعفاء وآخر الناس، بأن ننبّه إخوتنا بألّا ينتحبوا على أحبّائهم الذين نقلتهم دعوة الربّ من هذا العالم، عالمين أنّهم لم يذهبوا للهلاك، بل هم سبقونا، فقط، في الرحيل، وغادرونا كمسافرين، وأسرعوا في الإبحار قبلنا. فلا ينبغي إذًا أن نبكيهم بل أن نغار منهم ونحسدهم، ولا أن نتّشح بالسواد فيما هم يتلألأون بثياب الفرح البيضاء اللامعة البهيّة! لا يليق بنا أن نعطي فرصة لغير المؤمنين كي يسخروا منا بسبب حزننا المفرط على أولئك الذين ندّعي بأنّهم كانوا يحيون مع الله، كما لو كانوا هالكين. إنّنا بهذا التصرّف ننكر إيماننا، ونخون رجاءنا، ويبدو ما ننادي به وكأنّه وهم وإدعاء كاذب. لا يصحّ أن نظهر الشجاعة في الكلام فقط، ثمّ ننقض بأفعالنا ما نقول. يوبّخ **الرسول بولس** ويعنّف بشدّة أولئك الذين يغالون في الحزن على ارتحال ذويهم قائلًا: «ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ. لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ. فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ.» (١تسا ٤:١٣-١٤)، فهو

يصف الذين يحزنون على أحبّائهم حزنًا شديدًا «بالَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُم». أمّا نحن الذين نحيا بالرجاء، ونؤمن بأنّ المسيح تألّم لأجلنا وقام من بين الأموات، وإنّنا نقيم فيه، ونحيا به، فيجب إذًا أن نؤمن، أيضًا، أنّنا سنقوم معه ثانية. «وكُلُّ مَن يَحْيا ويُؤمِنُ بي لن يَموتَ أَبَداً.». قولوا لي، يا إخوتي، لماذا لا نودّ الانتقال من هذا العالم إن كنّا فعلًا نقيم في المسيح، ونحيا به ومعه؟ ولماذا نبكي ونكتئب على فراق أحبّائنا كما لو كنّا قد خسرناهم إلى الأبد؟ إنّ المسيح ربّنا وإلهنا يشدّدنا بقوله: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ.» (يو ١١:٢٥-٢٦). فإن كنّا نؤمن بالمسيح، وإن كانت لنا ثقة في كلامه وفي مواعيده، وإن كنّا أناسًا خالدين، فلنتقدّم إذًا إليه بفرح وثقة، لكي نحيا ونملك معه إلى الأبد، لأنّه هو الذي وعدنا بذلك، وَوَعْدُهُ صادق.

في الواقع نحن نعبر بالموت إلى الحياة، ولا يمكن أن نحظى بالحياة الخالدة إن لم نخرج أوّلًا من العالم. فالموت إذًا ليس محطّة نهائيّة لحياتنا على الأرض، إنّما هو انتقال ونقطة إنطلاق من حياة مؤقّتة إلى أخرى أبديّة. فمن لا يحثّ ٱلْخُطَى، إذًا نحو هذا الخير الأعظم؟ ومن لا يشتاق لأن يتغيّر ويتحوّل إلى صورة المسيح، ويتمتّع بشرف المجد السماويّ؟ لقد أعلن لنا الرسول بولس قائلًا: «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ»(في٣:٢٠-٢١). وهذا أيضًا ما وعدنا به السيّد عندما وجّه صلاته للآب لكيما نكون معه في المساكن الأبديّة، ونشاركه الفرح في ملكوته حيث قال: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ.» (يو ١٧:٢٤). فمن ينعم بمجد الملكوت السماويّ وبصحبة المسيح لا يليق به أن يحزن وينوح إذ إنّ الموت يُعتق المختارين من فساد هذا الدهر وانحلاله. أنّ الله نقل أخنوخ لأنّه أرضاه «وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ.» (تك ٥:٢٤). فالله، إذًا، يؤهّل كلّ من يُسرّ به للانتقال من تأثير هذا الدهر ومغرياته. ويعلّمنا الروح القدس بفم **سليمان الحكيم** بأنّ الذين أرضوا الله يؤخذون باكرًا حتّى لا تغيّر الرذيلة عقولهم ولا تدنّسها ببقائهم أكثر في هذا العالم فيقول: «إِنَّهُ كَانَ مُرْضِيًا للهِ فَأَحَبَّهُ، وَكَانَ يَعِيشُ بَيْنَ الْخَطَأَةِ فَنَقَلَهُ. خَطِفَهُ لِكَيْ لاَ يُغَيِّرَ الشَّرُّ عَقْلَهُ، وَلاَ يُطْغِي الْغِشُّ نَفْسَهُ. » (حك ٤:١٠-١١). ونقرأ أيضًا في سفر المزامير: «ما أحبّ مساكنك يا ربّ القوّات تشتاق وتتوق نفسي إلى ديار الربّ» (مز٨٤:١-٢)، فالنفس المرضيّة لإلهها تسارع نحو السيّد بلهفة وشوق.فلنتغرّب، إذًا، عن العالم، لأنّ كلّ شيء فيه باطل!!

إنّ من يرغب البقاء طويلًا في هذه الدنيا، يثبت أنّه يجد فيها بهجته، وتستهويه ملذّاتها وتغريه. إذا كان العالم يبغض المسيحيّ، فلماذا إذًا يؤثر هذا المسيحيّ البقاء في أرض الشقاء على ٱتّباع المسيح الذي افتداه وأحبّه؟!! إنّ **يوحنّا الحبيب** في رسالته يحثّنا على ألّا نسعى إلى محبّة العالم إذ يقول: «لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ.» (١يو٢:١٥-١٧). فلنكن، إذًا، يا إخوتي الأحبّاء، ذوي نفوس مستقيمة وإيمان غير متزعزع وشجاعة صلبة، سريعين في الخضوع لإرادة الله، ونُقصِ عنّا كلّ خوف من الموت، وآملين بالخلود الذي يتبعه، بما يتوافق مع إيماننا، غير متألّمين بمرارة على موت أحبائنا. وعندما يحين وقت خروجنا من هذا الجسد الفاني تلبية لدعوة الله لنا، فَلْنَسِرْ نحوه دون تردّد أو تلكؤ. فلنتحرّر، يا إخوتي، من القيود الأرضيّة، ولا ننسى بأنّنا غرباء، ولنبارك اليوم الذي سيعود فيه كلّ واحد منّا إلى منزله الحقيقيّ في فردوس النعيم وفي ملكوت السماوات. فها هوذا العالم يعلن بذاته عن زواله إذ سيفنى بدوره. يا لغبطة أبناء الله المنتقلين عنّا، لأنّهم تخلّصوا من تيّارات الهجمات الشرّيرة وعواصفها سيّما ونحن نترقّب أمورًا أكثر أسىً مزمعة أن تأتي علينا، لذلك، ومن هذه الحيثيّة، يُحسب لنا الانطلاق مكسبًا كبيرًا. لو كانت جدران بيتك تهتزّ أما كنت تغادره بسرعة؟ ولو كنت تبحر في سفينة، وداهمتها العواصف والأمواج أما كنت تطلب العودة إلى الميناء؟ هوذا العالم يترنّح ويتداعى ليس بفعل الزمن إنّما بسبب النهاية التي لا بدّ منها، أفلا تفرح لأنّ الخلاص أتاك بهذا الرحيل المبكّر؟ ألا تشكر الله لأنّك تحرّرت من المتاعب والكوارث التي كانت تتهدّدك؟

علينا إذًا، أيّها الإخوة الأحبّاء، أن نفكّر دائمًا، نحن الذين جحدنا ملذّات العالم، أنّنا نقيم زمنًا قصيرًا في مكان العبور هذا، فأيّ مسافر لا يبادر بالعودة إلى وطنه تاركًا بلاد الاغتراب البعيدة؟ وأيّ ملاّح لا يسرع لرؤية أهل بيته؟ بل كم يتمنّى بحرارة لو تهبّ ريح قويّة تمكّنه سريعًا من معانقة أحبّائه؟ وطننا هو الفردوس حيث يرتع آباؤنا البطاركة القدّيسون، فلماذا لا نهرع لملاقاتهم وإلقاء التحيّة على الأهل والأقارب الذين سبقونا؟ جماعات وجماعات من أحبّائنا وذوينا ينتظروننا هناك، يترقّبون رؤيتنا ومشاطرتهم الفرح. ما أحلى أن يموت الإنسان من دون جزع، وما أهنأ العيش في الأبديّة حيث أجواق الرسل وجماعات الأنبياء وقوافل لا تحصى من الشهداء المكلّلين بالمجد لانتصارهم على الأعداء وعلى الآلام التي كابدوها محبّة بمسيحهم. هناك تتلألأ بالنور الإلهيّ العذارى اللواتي دفعن ثمن جهاداتهنّ ضدّ الشهوات. هناك نال الصالحون المكافآت على إحساناتهم وَبِرِّهم. فلنسرع إذًا، نحن أيضًا، لكي نجتمع بهم ونظهر ظافرين أمام المسيح الناظر إلى شوقنا ورغبة نفوسنا وتوقّد إيماننا، هو الذي يجازي بالمجد ويكرّم من يتوقون إليه بحرارة وشوق.

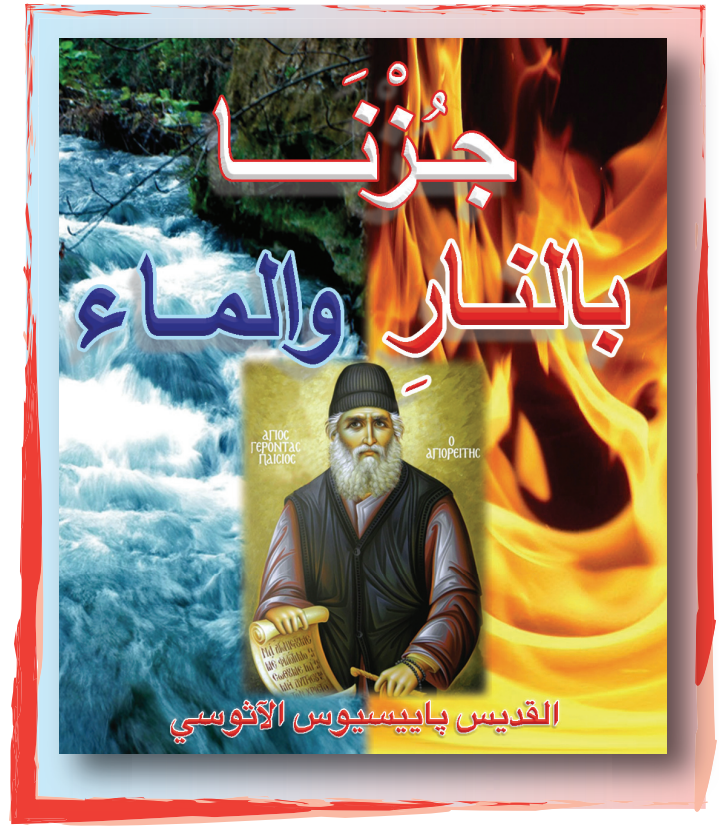

الباب الرابع

مواجهة الموت

✝ تذكّر الموت ✝

✝ يارووندا،أَظهَرَ التشّخيصُ أنَّ ورَمَك سرطانيٌّ وسريع التطوّر .

✝ أَحضري لي منديلًا ورقيًا لكَي أَرقص على أغنية، «الوداعُ لكَ، أيّها العالم البائس!». أَنا لَمْ أَرقص أبدًا في حياتي، لكنّي سَأَفعلُ الآن فرَحًا بدنُوِّ موتي.

✝ يارووندا،قال الطبيبُ أنّه يرغبُ في البدايةِ بٱستعمال الأشعة لتَقليص الورم ثمَّ يقون بإجراء العملية لَكَ.

✝ أنا أفهَم! أوَّلًا، سيقومُ سلاح الطيرانِ برمي القذائِفِ على العدوّ، ثمَّ يبدأُ الهجومُ! سأَصعدُ وأُحضرُ لَكِ الأخبارَ! يُصابُ بعض الناس، حتَّى كبار السِّن منهم، بالحزن الشديدِ عندما يُخبرهم الطبيبُ، «**ستموت**» ، أو «**نسبة شفائكَ خمسون بالمئة**». فهُم يُريدونَ أن يعيشوا. ثمّ ماذا؟ أَنا أتساءل! إذا كان الإنسان شابًا، فهذه الرغبةُ مُبرَّرةٌ. أمَّا الكبيرُ الذي يحاول بائسًا التعلُّق بالحياةِ، فهذا ما لا أفهمُه طبعًا، الأمرُ مُختلفٌ عندما يُريدُ أحدهم الخضوعَ للعلاجِ ليُرَوِّض الألَمَ. فهوَ ليسَ مُهتمًا بإطالة عُمرِه، بل فقط بجعلِ الألم مُحتَمَلًا لكي يستطيعَ الاهتمام بنفسِه حتَّى ساعة موتِه، وهذا تَفكيرٌ مَفهومٌ.

✝ يارووندا،نحنُ نُصَلّي لكي يُطيل الله عمركَ.

✝ لماذا؟ ألا يقول المزمور، «أيّام حياتنا سبعون سنة»؟ (٨٩: ١٠).

✝ لكن كاتب المزامير يضيفُ أيضًا، «وإن كانت مع القوّة فثمانون ...».

✝ نعم، لكنَّه يقول: «ومعظمها كَدٌّ وعناء»، في هذه الحالةِ من الأفضلِ إيجاد السَّلامِ في الحياة الأخرى.

✝ يارووندا،هل يُمكنُ أن يرغبَ الإنسانُ الذي يَشعرُ، بداعِي تواضعه، بِعَدَمِ ٱستعداده روحيًّا للياةِ الأخرى، أن يحيا لوقتٍ أطول لكي يتجهَّز ويَتحَهضر؟ .

✝ هذا أمرٌ جيِّد، لكن كيفَ سَيعرفُ زنه لن يصيرَ إلى حالةٍ روحيّةٍ سيِّئة، حتَّى لوْ ٱمتَدَّ به العُمر؟

✝ يارووندا،متى نستطيعُ القولَ أنَّ إنسانًا ما مُتَصالحٌ مع الموت ؟

✝ متى؟ عندما يحيا المسيحُ بداخله، يستحيل الموتُ فَرَحًا وسرورًا. لكن، يجبُ ألَّا يبتهجَ المرءُ في الموتِ فقط لأنّه قد تعِبَ من حياته. فعندما تَبتهجُ بالموتِ، بالمعنى الملائم، فهو يذهبُ باحثًا عن شخصٍ آخر يخاف منه! عندمَا ترغب بالموتِ، فلن تموتَ. كُلُّ من يحيا حياةً سهلةً يخاف من الموتِ لأنّه مسرورٌ وراضٍ بالحياةِ العالميّةِ، ولا يريدُ أن يموتَ. وإذا حدَّثَهُ الناسُ غن الموتِ، يتصرَّفُ برفضٍ ويقول: «اذهبوا من هنا!» أمَّا الإنسانُ المتألّمُ المتوجِّعُ، فيرى الموتَ راحةً وانعتاقًا ويقول: « يا للأسف، إلى الآن ... لم يأتِ سارون ليأخذني. لا بدَّ من وجود سببٍ أعاقه عن المجيء!».

قَلائل هم البَشرُ الذين يُرحِّبون بالموتِ. فمعظم الناسِ لديهم أعمالٌ غير مُنجَزَةٍ ولا يريدون الموتَ. لكنَّ الإله الصالحَ دبَّر أن يَموتَ الكلُّ، عندما ينضجون بالكامل. يفرح الإنسان الرُّوحانيّ، سَواءً كان شابًا أم مُسِنًّا، بالحياةِ وبالموتِ. لكن يجبُ ألَّا يَسعى وراءَ الموتِ ويُطاردَهُ، فَهذا سيكون انتحارًا.

مَن مات عن الأمورِ الأرضيّةِ وقام روحانيًّا، لَنْ يُعاني الكَرَبَ، الخوفَ أو القلقَ، بل ينتظر الموتَ بفَرحٍ، لأنّه سيكون مع المسيحِ وسيتهجُ في حُضَوره. لكنَّه يفرحُ بكونه حيًّا أيضًا، لأنّه مُتَّحدٌ مع المسيحِ منذُ الآن ويَختَبرُ قليلًا مِنْ فَرحِ الفردوسِ هنا. يُجاهدُ مثل هؤلاء الناسِ بِتَفانٍ وإنكارٍ للذَّات. وإذ يضعون الموتَ نُصبَ أعينهم ويتذكّرونه يوميًّا، يســتعدُّون روحيًّا مُجاهدين بجرأةٍ، ويَغلبونَ تَفاهةَ العالمِ وبطلانه.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

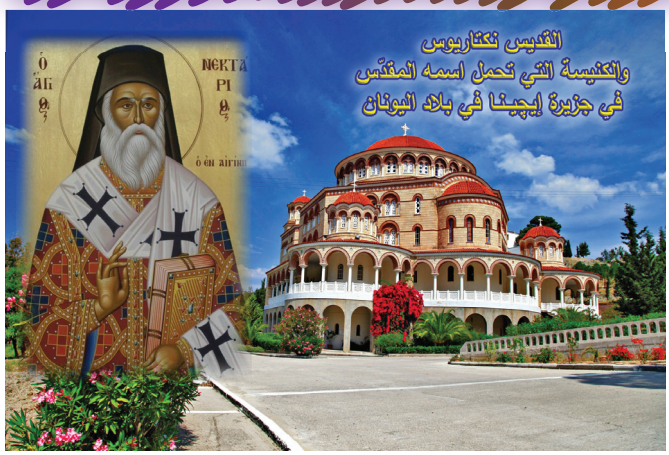

✝ الفصل الرابع ✝

✝ «الذين يخافون الرّب قلبهم مُستعدٌ على الدوام» (يشوع بن سيراخ ١٧:٢)

كان يسير عند الظهيرة في الشارع، ولا يتوقف عن تمجيد الله وحمده. لم يكن يرى المارة ولا العربات، ولا يسمع موسيقى الأُرغات الصغيرة المتنقلة، ولا أصوات حوافر الخيل، ولا صراخ باعة الصُّحف. كان ما يزال يبكي، ولكنها دموع الشُكر والامتنان. لم تكُن هذه الحقيقة لتخطر بباله: هو الذي كان في الأمس القريب أُسقفًا وممثلًا بطريركيًّا، ومُرشحًا لاعتلاء عرش الإسكندرية، يشقَى اليوم ويتوسَّل كثيرًا لكي يُعيَّن في وظيفة واعظ بسيط في منطقة من اليونان تكاد تكون مقفرة ... لم يكن هذا قد حصل قبل الآن. كان الأمر مُذهلًا ولا مثيل له في تاريخ الكنيسة. وكان يردّد عند كُل خطوة: «الله حيّ وروحي حيّة ... الربّ راعيّ فلا يعوزني شيء ... تُبارِك نَفسي الربّ».

وعند وصوله إلى بيت غارغاريتا الصغير، كان جهه مُشِعًا وتحوّلًا. كان كالولد تمامًا. وكأنّه عاد إلى أيام طفولته الأولى في سيليفريا، عندما كان يستمع في دفء ذراعيْ جدّته ما تخبره عن أسرار الملكوت الخفية.

وما أن دخل باحة البيت حتى قال للسيدة أندروماك بابتسامةِ فرَحٍ طفولية:

– أخيرًا أخيرًا يا سيدة أندروماك، ترأف الله بي! سأرحل إلى خالكيس * خلال بضعة أيام.

فشحبت المرأة وبدا عليها الذهول.

– سوفَ ترحل يا صاحب السيادة؟ الآن؟.

فأجاب:

– سأسدّد لكِ كل ديونك ... كما أني سوف أذكرك في صلواتي على الدوام، مع أهلي وجدّتي العزيزة. آه يا سيدة أندروماك كم كنتِ طَيِّبَةً معي أيام المِحَن .

– فانحنت أندروماك لتقبّل يده باحترام، ولم تستطع تمالك نفسها عن البكاء. فقالت بيأس: يا للأسف ... يا للأسف ...

– ماذا؟

– ألا تفهم يا صاحب السيادة، ألا تعلم أنّ الله معك، وأن وجودك يشعّ بالبَرَكة المقدّسة؟.

* تقع مدينة خالكيس على الساحل الغربي لجزيرة إيفيا التي توازي الأرض اليونانية وتنفصل عنها عبر مضيق إفريبوس، حيث تقع المدينة في المكان الذي تكاد تكون فيه الجزيرة ملاصقة للأرض اليونانية، ويبلغ عرض المضيق في هذا المكان أقل من كيلومتر واحد.

✝ الفصل الخامس ✝

✝ «قد كلّمتكم بهذا ليكون لكم سلام. إنكم في العالم ستكونون في ضيق ولكن ثقوا فإنّي قد غلبتُ العالم» (يو١٦ :٣٣)

✝ «فلذلك طالت عليهم أناة الربّ وأفاض رحمته. رأى وعلم أن منقلبهم هائل» (يشوع بن سيراخ ١٧:٢)

كان الشتاء يقترب من نهايته عندما وصل نكتاريوس بالباص إلى مدينة خالكيس الرائعة الجمال وذات التاريخ الغني، عن طريق ثيبوس. كان المنظر أَخّاذًا، لأن اشجار اللوز والخوخ والكرز كانت كلّها مُزهرة. وراح نكتاريوس يتأمّل خضرة الحقول الملتمعة بالمطر تحت أشعة الشمس النازلة من بين غيمتين. وفاضت روحه بالإعجاب لفن الخالق وحكمته. ولم يتوقّف عن الترتيل: «تفتح يدك فيمتلىء الكلّ خيرًا».

كان يحس بعمق وقوّة بوفرة النباتات وتلاعب الألوان، وسحر ساقية صغيرة، أو أغصان مهيبة متفرعة من شجرة كبيرة في وسط الحقول. وكان يشعر بأنه يولد من جديد.

لقد مرّ في منطقة الأوريبوس من قبل: عندما كان لا يزال طالبًا وشماسًا بسيطًا، وقد جاء إليها في رحلة مع أصدقاء له. في ذلك الوقت أيضًا تأثّر بجمال طبيعة بلاده. إنّها بالحقيقة ظاهرة فريدة من نوعها في العالم: هذا المضيق الذي تسير فيه المياه لمدة ست ساعات في اتجاه، وفي الست ساعات التالية في الاتجاهِ المعاكس. لقد كان هذا دائمًا مدعاة للدهش.

قبل أن يسافر كتب، رسالة إلى أحد أصدقائه في القسطنطينية كان قد دبّر له غرفة في منزل من طابقين، خلف مبنى المحكمة. كانت الغرفة هادئة، متجهة إلى الناحية الشمالية الشرقية، حسب رغبته. ولها شرفة صغيرة من ناحية الشرق.

كان الأسقف كريستوف ستاماتيادس غائبًا. فاستقبله موظفو المطرانية ببرودة وحذر. إلّا أنه لم يلاحظ شيئًا من ذلك: فقد كان قلبه مليئًا بالفرح، سعيدًا لأنه يحمل تقدمة جديدة للشعب الأرثوذكسي.

الأرثوذكسيّة (٦٧)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار قاعدة الأيمان

الربُّ المُحيي

ربَطَ اليهود بين روح الله وعمل الخليقة، إنّه من خلال روحه أجرى الله عمَلَه في الخَلْق. كان روح الله يرّف على وجه المياه وخلق العالم من الفوضى (الفوضى = اختلاط العناصر الأربعة الأساسيّة الهواء والماء والتراب والنّار بعضها ببعض) (تك١:٢). يقول المرنّم : « بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا.» (مز٣٢:٦). ويقول أيضًا: «ترسل روحك فيُخلقون» (مز١٠٣:٣٠). ويقول أيوب: «رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي.» (أي٣٣:٤). وحزقيال النبي يَرسم صورته المُرَوِّعة والرائعة من وادي العظام اليابسة، ويحكي كيف أتت العظام اليابَسة إلى الحياة، ويَسمع الله يقول: «هأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ» (حز٣٧:١-١٤). وها الرب ينفخ روحه في تلك العظام اليابسة فتحيا. إنَّ نفس الروح الذي أتى بالنظام من التشويش الذي كان عند بدء الخَلق، والذي نفخَ فيما هو عادم الحياة، يأتي لينفخ الحياة في أولئك الموتى في الفكر والروح والقلب، ليُجدِّد ويُعيد خلقة الحياة عندما يفقد الناس كل معنى وطعم الحياة. كان وسوف يظل الروح القُدُس إلى الأبد «الروح المُحيي».

الروح

يوجد كثير من المعاني تدلّنا عليه كلمة: «الروح» بخصوص الشخص الثالث في الألوهة. تعني كلمة «روح» أيضًا في لغات متعدّدة: «نَفَس» . وفي الحقيقة فإنَّ المسيح عندما أعطى الروح القُدُس أولًا لِرُسُلِهِ عشيَّة أحد القيامة، فإنّه: « نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ.» (يو ٢٠:٢٢). وهذا يدلّنا على أن الله الروح القُدُس هو كالهواء الذي نتنفّسه، إنَّه موجود دائمًا حتى وإن كنَّا لا نلحظه باستمرار، إنَّه موجود داخلنا وخارجنا وفي كل ما يُحيط بنا. إنَّه نَفَس الله الذي يملأنا بالحياة والقوَّة، وكما أنَّه عن طريق التنفُّس الصِّناعي نُعيد الحياة إلى شخص توقَّف تنفُّسه، هكذا فإنَّ الله ينفُخ حياته فينا من خلال الروح القُدُس. إنّ روح الله موجودٌ دائمًا لروح الإنسان، مُحيطٌ بنا ومُغَلِّفنا بحضور الله. هذا هو فحوى الروح القُدُس للإنسان.

اذهب في ليلة ما خارج الأبواب وَقِفْ والْحَظْ في المساء السماء الصافية. دَع عينيك تبلُغان أبعد نجم يمكنك أن تَراه، وَحَلِّق في بلايين وبلايين النجوم في الفضاء المُتَّسع المُترَامي الأطراف، فَكِّر في الله الموجود هناك، أَوَلَيْسَ هذا هو الأُفق الذي يحدُّ به كثير منَّا حضور الله؟ فنقول: «إنّ موجودٌ هناك في مكانٍ ما»، وإذا استمررتَ بالنظر إلى تلك النجوم التي تبعد بلايين السنين الضوئيَّة هناك، فَدَع نسيم هذه الأُمسية يُلاطف وَجنتيكَ ويداعب شَعر رأسك. إنَّ الروح القُدُس هو الله قريبٌ منكَ كالهواء الذي يلاطف وجنتيك. أنتَ تتنهَّد وهو يسمع!

«انفُخ فِيَّ نسمةَ الله، املأني بحياةٍ جديدة، حتى أَحِبَّ ما تُحب، وأعمل ما تعمله».

حمامة وألسنة من نار:

أظهَرَ الروح القُدُس ذاته للأعين البشرية مرَّتين، فعند عماد يسوع ظهر الروح بشكل حمامة، وفي يوم البنتيقسطي ظهرَ بشكل ألسنة من نار على رأس التلاميذ. دعنا نتأمّل باختصار المعنى المخفي وراء هاتين الطريقتين اللتين ظَهَرَ بهما:

أولًا: الحمامة .. بحسب ما لدينا من معلومات وسجّلات بشريَّة، فإنَّه مِن المعلوم أنَّ الحمامة تُتَّخذ كمُرشِدٍ للملّاحين. عندما يُريد البحَّارة أن يعرفوا الاتجاه او المسافة من الشاطىء، فإنَّهم يطلقون حمامة او حمامتين من الأقفاص، فيتَّجه الطائر بخفَّة فوق سُحب الزوابع، ويتعلَّق في الهواء للحظة ثمَّ يطير كالسَّهم إلى أقرب أرضٍ، وعندئذ فإنَّ الملَّاحين يُوجِّهون دَفَّة سفينتهم في هذا الاتجاه وهم متأكِّدون إنَّ هذا هو الاتجاه إلى اليابسةِ. لا تزال هذه مُتَّبَعة إلى يومنا هذا لدى الملَّاحين والصيَّادين في الهند. إنَّ عادة استخدام الحمامة كرمز للروح القُدُس يُبيِّن لنا أنَّ الروح القُدُس يقود الكنيسة إلى المسيح الحقّ، وفي أوقات الحيرة والتردّد، فإنَّ الروح القُدُس يُحَلِّق كالحمامة فوق سُحب الشكوك ويقودنا في طريق الى الإمان والاطمئنان.

ثانيًا: بخصوص الألسنة الناريَّة التي ظَهَرت على رأس التلاميذ يوم الخمسين، فهذا يُبيِّن لنا أنَّ الروح القُدُس هو كالنَّار، أينما وُجد يكون الناس ملتهبين حماسًا، وفي الحقيقة فإنَّ كلمة «حماس» هي مشتقَّة في أصلها اليوناني من كلمتين تعنيان: «الله في الداخل». حقًّا عندما يكون الله الروح القُدُس في الداخل ، فنحن نكون على نار، ممتلئين حيويَّة ونشاطًا وَسِحْرًا ولذَّة، وكما تَفعَل النَّار، فإنَّ الروح القُدُس يصقلنا ويُطهِّرنا من الشَّر ويُنقِّينا من الخطيَّة.

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الخامسَ عشرةَ

«... وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء»

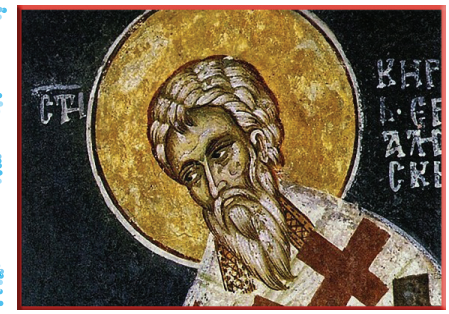

٤- تاريخ آخر الزمن غير متوقَّع. المسيح الدجّال:

إذن ستزول الأشياء المنظورة، وتأتي الأشياء المنتظرة أجمل منها. ولكن لا يشغل أحدٌ باله في زمن مجيئها: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ» (اعمال ١: ٧). ولا تذهب بك الجرأة في تحديد زمانها، ولا تهمل نفسك وتستسلم للنوم ؛ إذ يقول الرب: « فَكُونُوا أَنْتُمْ إِذًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ» (متى ٢٤: ٤٤). ولكن بما أنه كان يقتضي علينا أن نعرف علامات آخر الزمن، وبما أننا ننتظر المسيح، وخوفًا من أن نموت مخدوعين ويضلّنا المسيح الدجّال، لذلك اقتَرَبَ الرُسل من السيّد الحقيقي، بدافع من الوحي الإلهي وبحسب تصميم الخلاص، وسألوه:«قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟» (متى ٢٤: ٣). إننا ننتظر مجيئك الثاني، لكن إبليس يغيّر شكله الى ملاك نور (٢كو١١: ١٤). فَطَمْئِنًّا حتى لا نعبد أحدًا غيرك. ففتح فمه الإلهي الطوباوي، وقال: «انْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ.» (متى ٢٤: ٤). وانتم أيضًا، أيها السامعون، افتحوا الآن أعين أذهانكم كأنكم تريدون رؤيته، واسمعوه يعيد عليكم أنتم أيضًا هذه الأمور: «انْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ». هذه العبارة تحثّكم على التمسُّك بما يُقال لكم، لأنه ليس تاريخ الماضي، إنما نبوءة ما سيحدث أكيدًا. لسنا نحن الذين نتنبّأ (لأنّنا غير أهل لذلك)، ولكننا نجاهر بما هو مكتوب، ونخبر بعلامات منتهى الدهر. فلاحظ أنتَ إذن ما تحقّق منها وما لم يتحقّق، واحرص على نفسك.

٥- عدم تصديق المضلّين:

«انْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ»! « فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ..» (متى ٢٤: ٥). هذه الأمور حدثت جزئيًّا: فإنَّ **سيمون السَّاحر ومينندر**، وآخرين من قادة الهرطقات، قالوا بهذا، وسيتحدّثون هكذا في زماننا، وغيرهم سيتحدّثون بعدنا.

٦- علامات الحروب:

العلامة الثانية: «وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ.» (متى ٢٤: ٦). أليست الحرب قائمة الآن بين الرومان والفُرس لأجل بلاد «ما بين النهرين»؟ ألا «تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ شَّى؟» (متى ٢٤: ٧). كل هذا حدث. «وتكون ظهورات مخيفة في السماء، وعواصف عظيمة. «اِسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ.» (متى ٢٤: ٤٢).

٧- علامة فتور المحبة:

ولكننا نبحث عن علامة لمجيئنا؛ نحن رجال الكنيسة، نبحث عن علامة في الكنيسة، يقول المخلّص: «وَحِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.» (متى ٢٤: ١٠). عندما تسمع أن الانقسامات بين الأساقفة ورجال الاكليروس والشعوب بلغت حتى الدمّ، فلا تقلق، لأنه سبق وكُتِبَ عن ذلك. لا تهتم بما سيحدث بل بما كُتِبَ. حينئذ حتى إن هلكتُ أنا الذي يعلّمك، لا تهلك أنتَ أيضًا معي. إذ من المحتمل ان يصبح المستمع أفضل من معلّمه، والأخير أفضل من الأوّل (متى ٢٠: ١٦)، بما أن الربّ يقول أيضًا مَنْ يأتون في الساعة الادية عشرة (متى٢٠: ٧). لقد وُجِدَت الخيانة بين الرُسل، فلا تعجب أن تجد الكراهية بين الأساقفة، بين الأخوة. ولكن هذه العلامة لا تكون بين القادة فحسب، بل وبين الشعوب أيضًا؛ إذ يقول الرب: «وَلِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ.» (متى ٢٤: ١٢). هل في آستطاعة أحد الحاضرين هنا أن يفخر بصداقة خالصة نحو القريب؟ في غالب الأحيان أليست الشفاه هي التي تقبّل، والوجه يبتسم، والعيون تضحك، بينما القلب يخدع ويعدّ الشرّ، وهو يتحدّث بالسلام.

٨- علامة بشارة الملكوت في العالم:

وإليك أيضًا هذه العلامة: «وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى.» (متى ٢٤ : ١٤). وها العالم كلّه، كما نرى، قد امتلأ تقريبًا بتعاليم المسيح.

تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم